الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

جدلية الواقع والمتخيل في رواية 'رغوة سوداء' "لحجّي جابر"

مذكّرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

تخصّص : أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- **عاشوري شيماء.**
- **مصواف سيليا.**

إشراف الأستاذ:

د. مسيلي الطاهر.

السنة الجامعية: 2020م-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
صدق الله العظيم

إهداء

الشكر أولا لله عزّ وجل الذي لا فوز غلا طاعته ولا حياة إلا في رضاه

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كاتمة أسراري وأفكاري المستودعة أخلاقي إلى صاحبة المقام الجليلي إلى متاع الجنة الخلود إلى أثر ما في الوجود أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى أغلى ما عندي في الوجود الذي ناضل من أجلي وترقب تخرجي يا من أفتخر كونه أبي .... الأول في الحياة أطال الله في عمره.

إلى أجمل ما في حياتي إخوتي وأخواتي بالأخص أخي الأكبر "عبد الحق" ولطالما كان سندا لي في السراء والضراء أطال الله في عمره.

إلى زملائي في العمل ورفيقة دربي "سليا".

إلى أستاذي المشرف "طاهر مسيلي" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة.

أهدي عملي هذا المتواضع إلى من أناقش عليه حور العين في الجنة زوجي قرة عيني "محمد هشام" الذي رافقني طوال مشواري الطويل حفظه الله ورعاه.

عاشوري شيماء

شكر وعرفان:

بسم الله الرحمن الرحيم

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظيم عقد الشكر إلى رب العباد، الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، فالله ملك الحمد والشكر عدد ذرات الكون في السموات والأرض على توفيقك وحسن عونك وما وهبتنا به من صبر وعزيمة لإتمام هذا البحث.

كما نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان بعد الله عزّ وجل إلى من أكرمنا بالإشراف على هذه المذكرة، الأستاذ الفاضل "**طاهر مسيلي**" فقد أنار لنا دروب هذا البحث بنصحه وإرشاده وتصويب الأخطاء.

كما نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث المتواضع وتقويمه بملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

ويتنازع في أنفسنا شكر وتقدير ومحبة إلى كل من مد يد العون لنا وساندنا من قريب أو بعيد وإلى كل من خصنا بنصيحة أو دعاء.

مقدمة

شاهدت الرواية العربية تطورا ملحوظا في مختلف العصور سواءا من ناحية الشكل أو المضمون وهي تعد من أكثر الفنون النثرية التي شهدت اهتمام القراء والنقاد لأنهما تصور حياة المجتمع عامة والإنسان خاصة لهذا فرواية قد تكون ناتجة عن اجتهاد خيالي أو انعكاس واقعي كما يمكن أن تكون مزيجا بين الواقع والخيال.

والعلاقة بين الواقع والمتخيل هي العنصر الأساسي والمهم في الرواية، فكثيرا ما نتحدث عن واقع اجتماعي ممزوج بمتخيل فني أدبي وعلى هذا نذكر الروائي "حجّي جابر" الذي مزج الواقع بالمتخيل وقدم لنا فنا روائيا بعنوان "رغوة سوداء" التي نالت الجائزة العالمية للرواية عام 2019م المعروفة بجائزة بوكر العربية ومن هذا المنطلق تم اختيارنا لهذه الرواية.

ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب منها إعجابنا لروايات هذا الأديب ورغباتنا في تذوق فنه الروائي الجميل الذي يصور الواقع بالخيال.

وقد تبادرت إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة قبل الشروع في هذا الموضوع منها: كيف صور لنا الروائي حجّي جابر الواقع والمتخيل في روايته؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تطرقنا إلى رسم خطة البحث التي تتكون من: مقدمة وفصلين وخاتمة.

في المدخل عرضنا مفهوم الواقع والمتخيل ثم الواقع والمتخيل في الرواية العربية.

وفي الفصل الأول الذي كان بعنوان "تجليات الواقع والمتخيل في رواية رغوة سوداء" تضمن ثلاث عناصر الشخصية الواقعية والزمن الواقعي الذي تطرقنا إلى تقسيمه إلى زمن فني وزمن نفسي والعنصر الثالث كان بعنوان المكان الواقعي الذي تمحور حول الأمكنة المفتوحة والمغلقة في الرواية.

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة "تجليات المتخيل في رواية رغوة سوداء" وقسمناه إلى ستة عناصر هي:

الشخصية المتخيلة في الرواية بما فيها من شخصيات رئيسية وثانوية ثم بنية متخيل الأنماط الإنسانية بعدها بنية الزمن المتخيل في الرواية ويليها المكان المتخيل في الرواية بعدها العلاقة بين الواقع والمتخيل في الرواية وأخر عنصر كان دراسة عنوان الرواية وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي ففيه تطرقنا إلى وصف الشخصيات والأزمنة والأمكنة، ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر: لسان العرب 'لابن منظور'، أساس البلاغة 'للزّمخشري'، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين 'ليوسف الإدريسي'.

واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز بحثنا منها صعوبة فهم الرواية وذلك لاحتوائها على عدة أحداث وتغيير البطل لإسمه ودينه في كل مرة إضافة إلى هذا صعوبة الوصول إلى المراجع الأصلية التي تخدم البحث وبرغم من هذا استطعنا بفضل الله تعالى الذي منحنا القوة والإرادة في استكمال هذه الدراسة والخروج منها بنتائج.

وفي الختام نحمد الله الذي وفقنا في إكمال هذا المشروع ونتقدم بأحر عبارات الشكر والتقدير للدكتور المشرف "مسيلي طاهر" الذي لم يبخل علينا بتقديم النصائح والإرشادات وعلى صبره الجميل معنا.

***المدخل: الواقع والمتخيل.**

1- مفهوم الواقع:

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

2- مفهوم المتخيل:

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

3- الواقع والمتخيل في الرواية العربية.

1- الواقع:

أ- لغة:

وردت مفردة الواقع في القرآن الكريم بمعنى النزول وذلك في قوله عزّ وجل ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ الآية (1)/ سورة المعراج.

كما ورد ذكرها أيضا في المعاجم سواء القديمة منها أو الحديثة ففي الأولى ذكرت في معجم لسان العرب بمعنى «وقع على الشيء منه يقع وقعا وقوعا، ووقع المطر بالأرض ولا يقال سقط»[1].

كما عثرنا عليها في معجم أساس البلاغة بمعنى «وقع الشيء على الأرض وقوعا. وأوقعته إيقاعا. ووقع الطائر على الشجرة. وهذه ميقعة البازي: لكُندُرَته. وتوقعت: ترقبت وقوعه. ووقع الربيع في الأرض. وانتجعوا مواقع الغيث ومساقطه. وأصفي من ماء الوقيعة والواقع وهي المنافع»[2].

كما جاءت في معجم المحيط بمعنى «وقع يقع بفتحهما، وقوعا: سقط والقول عليهم وجب والحق ثبت، والإبل بركت والدواب ربضت وربيع بالأرض: حصل، ولا يقال: سقط الطير: إذا كانت على شجر أو أرض فهّن وقوع ووقع وقد وقع الطائر وقوعا وإنه لحسن الوقعة»[3]. هذا عن القديمة أم المعاجم الحديثة فقد جاءت بمعنى السقوط في معجم الوسيط «وقع، يقع وقعا، ووقوعا: سقط .و الدّراب :ربضت،والإبل بركت ويقال وقع الطيرعلى أرض

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، مج 15، ط4، 2005م، ص 260.

[2] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، مج 2، ط1، ص 349-350.

[3] الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم، قاموس المحيط، مادة وقع، بيروت، للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م، ص 772-773.

أوشجرة. والمطر بالأرض: حصل. والحقُّ: ثبت. والقول عليه: وجب والكلام في نفسه: أثر فيها. وفلان فلان وقيعة ووقوعا: سبّه واغتابه وعابه... الواقع الذي ينْقُر الرّحى (ج) وقعة والحاصل، ويقال: أمر واقع. وطائر واقع إذا كان على شجرة أو نحوه (ج) وقوع، ووقع ويقال: إنه لواقع الطير: أي ساكن ليّن. والنّسر الواقع»[1].

أخيرا نستنتج أن مدلول كلمة واقع مرتبط بالحقيقة التي يعيشها الإنسان سواء كانت ايجابية أو سلبية فالواقع يسعى إلى تصوير حياة الفرد داخل مجتمعه سواءا من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية.

ب- اصطلاحا:

تعددت المصطلحات والمفاهيم حول كلمة الواقع فهو من المفاهيم الصعبة والمستعصية على الفهم فنجد عبد اللطيف محفوظ يقول عن الواقع أنه «من بين المفاهيم الغامضة جدا والمستعصية على الفهم والتفسير ويعود ذلك إلى كون معناه المتداول لا يقوم إلاّ على فريضة حدسية، ذلك إن تلقيا له غالبا ما يحدده تواطؤنا مع منتجه، والحقيقة أن الواقع كلمة تحمل تصورا ملتبسا، يفتقد إلى حد ضابط، ويتمظهر ذلك بجلاء خلال سيرورات التواصل المباشرة التي تسمح لنا بأن يجرب بعضنا البعض مباشرة»[2].

وكلمة الواقعية «بما يبدو عليها من استقلال عن أي وصف يتعلق بالمحتوى أو بالنوع، وما يتصف به من مطاطيه جموح، هي معجزة يشعر كثير من الناس أن بوسعهم الاستغناء عنها»[3].

---

[1] مصطفى إبراهيم وآخرون، معجم الوسيط، مادة وقع، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول تركيا، ص 1050.

[2] عبد اللطيف محفوظ، عن حدود الواقعي والمتخيل 28/05/2021 https://www . Aljabriabed.net

[3] مجموعة من المؤلفين موسوعة المصطلح النقدي (الواقعية الرومانسي الدرامة والدرامي الحبكة)، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م، ص 15.

والواقعية هي «ذلك الجهد، ذلك الميل المقصود من الفن لتقريب الواقع... لا تكون ميلا واحدا بل اثنين، يجب ألا يكون توافقهما المحتمل أخيرا مما يخيم على تضادهما عمليا»[1].

والواقعية هي «الواقع الحاصل، والواقعية ما حدث ووجد بالفعل، وهي مرادفة للحادث والواقعي هو المنسوب إلى الواقع، ويرادفه الوجودي، والحقيقي والفعلي ويقابله الخيالي والوهمي... وتطلق الواقعية من جهة ما هي مذهب فلسفي على كل نظرية تحقق المثال أي تعده شيئا واقعيا»[2].

فالواقعية «هي تصوير الحياة على ما هي عليه. ولكن ليس هذا هو التحديد الدقيق للواقعية من حيث هي مذهب أدبي، لأن الواقعية في الحقيقة تؤكد بعامة جانبا خاصا من الحياة، هو أقل الجوانب تمدحا بالنبل الإنساني»[3]. ومن هنا يبين لنا أن الواقعية هي تصوير لجانب من جوانب الحياة تصويرا دقيقا.

[1] مجموعة من المؤلفين موسوعة المصطلح النقدي،المرجع نفسه، ص 42.

[2] صليبا جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية وانجليزية واللاتينية، مج2، دط، مكتبة المدرسة، دار المدرسة، دار الكتب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982م، ص 552.

[3] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2013م، ص 30.

2- المتخيل:

أ- لغة:

وردت مفردة المتخيل في عدة معاجم سواء القديمة منها أو الحديثة ففي الأولى ذكرت في معجم لسان العرب بمعنى «خيل خال الشيء يخال وخيلا وخيلة وخالا وخيلنا ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه (...) والخيال والخيالة ما تشبه لك من اليقظة والحلم من صورة وجمعه أخيلة (...) والخيال لكل شيء تراه كالظل، كذلك خيال الإنسان من المرآة، وخياله في المنام (...) ويطلق على نوع من النبات»[1].

كما عثرنا عليها في معجم أساس البلاغة بمعنى «خيل: فيه خُيلاء ومخيلة. وهو يمشي الخيلاء. وإيّاك والمخيلة وإسْبال الأزار. واختال في مشيته وتخيّل... وخايله: فاخره. وتخايلوا:تفاخرو...وخلته كريما مخيلة. وأخطأتُ في فلان مخيلتي أي ظنّي. ورأيت في السماء مخيلة وهي السّحابة تخالُها ما طرة لرعدها وبرقها ورأيت فيها مخائل»[2].

كما جاءت في معجم المحيط بمعنى: «خال الشيء يخال خيلا وخيلة، ويُكسران، وخالاً محرّكة، مخيلة ومخالة وخيلولة: ظنّه، وتقول في مستقبله: اخال، بكسر الهمزة وتفتح في لغته وخيل عليه تخيلا وتخيلا: وجه التهمة إليه... وأخْيَلتِ السماء وتَخيلت: تهيّأت للمطر»[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت-لبنان، المجلد الخامس، ط1، 2005م، ص 191-193.

[2] أبي القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ص 274.

[3] الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم، قاموس المحيط، مادة خيل، بيروت-لبنان، للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م، ص 996.

هذا عن القديمة أما المعاجم الحديثة فقد جاءت بمعنى تكبر في معجم الوسيط «خال فلانٌ. خيلا: تكبّر توسم وتفرس والفرس وغيره: ظلع وغمز في مشيته والشيء خيلا وخيلانا: ظنّه... خيل الرجل (بالبناء للمجهول): كثرت خيلان جسده . فهو مخيل ومخول ومخيل ...ويقال خيّل عليه: لبّس وشبّه وخيّل فلان على فلان: وجّه التهمة إليه»[1].

وفي الأخير نستنتج أن مفردة التخيل في معناها العام تعني الطيف والظّن والوهم.

ب- اصطلاحا:

تعددت مفاهيم المتخيل وذلك حسب مقتضيات توظيفها والخيال كلمة افترضت من «كلمة Imagination (خيال) من الكلمة اللاتينية Imag-Inativo 1175 ودَلت في البداية على ما يرى في الحلم والهلوسة وبعد ذلك دلت بين عامي 1269م و 1278م على ملكة خلق الصور وتشكيلها، وأصبحت تدل منذ القرن الرابع على ملكة تكوين تركيبات جديدة للصور»[2]. وهي تعني «قدرة الذهن على حفظ المعطيات الادراكية وإحضارها، كما تعني ملكة تركيب صور جديدة وتشكيل مواضيع غير واقعية»[3].

كما أولي كولريدج عناية خاصة واهتماما بليغا بموضوع الخيال واعتبره «أداة فنية للإبداع الشعري، وملكة نفسية للإدراك الذهني وقوة باطنية لتمثل حقائق الأشياء وجوهر الوجود»[4]، كما اعتبره «الأداة الإبداعية الوحيدة والفعالة التي تخلق التناسب والانسجام بين الوزن واللغة الشعرية والغاية الجمالية»[1].

---

[1] مصطفى إبراهيم وآخرون: معجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطمبول-تركيا، ص 266.

[2] يوسف الإدريسي، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحدثين، ط1، 2005م، مطبعة النجاح الجديدة، ص 28.

[3] المرجع نفسه، ص 28-29.

[4] يوسف الإدريسي، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، ص 47.

يعد مفهوم «التخيل واحد من المفاهيم الإشكالية المكونة لشبكة المفاهيم المعقدة في التراث النقدي العربي، وذلك لتعدد مساراته وتجذره في كل الكتابات البلاغية والنقدية والفلسفية»[2]، كما يعد أيضا «أحد أبرز الآليات النظرية والأدوات الإجرائية الدالة على ارتقاء الفكر البلاغي والنقدي عند العرب وتطور طرائق نظره في النص الشعري ومقاربته لمستوياته الجمالية وخصائصه الأسلوبية»[3].

ويشير هذا المصطلح إلى «مجموع المعطيات التمثيلية والرموز الإيحائية والترسيمات المتعالقة في مكوناتها وبنياتها ودلالاتها ويشمل مختلف المظاهر الفكرية والعلامة الثقافية في حياة الإنسان»[4].

***الواقع والمتخيل في الرواية العربية:**

نالت الرواية العربية مكانة مرموقة في الوطن العربي فهي أكثر الفنون النثرية التي حظيت باهتمام القراء والباحثين.

اختلف النقاد في تحديد مفهوم الرواية كونها تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى في عدة نقاط « تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئاتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ، تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها تعريفا

[1] المرجع نفسه، ص 47.

[2] يوسف الإدريسي، مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والامتدادات، دار وجوه للنشر، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط1، 2015م، ص 07.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

[4] يوسف الإدريسي،مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والإمتدادات، ص 142.

جامعا مانعا، ذلك لأننا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصميمة»[1].

فالرواية هي « جنس أدبي راق ذات بنية شديدة التعقيب متراكبة التشكيل، تتلاحم في بينها وتتظافر لتشكل لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميلا يعتزي إلى هذا الجنس الحضي، والأدب السري، فاللغة هي مادته الأولى كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر»[2]. من هنا يتضح أن الرواية تواجه صراع بين شخصيات مما يؤدي إلى تأزم وتشابك الأحداث لتشكل في نهاية المطاف نص روائي جميل.

فارواية هي الأكثر الفنون التي تعبر عن واقع وحياة المجتمع ومكبوتاتهم فهي «مرآة للحياة ما يعني أنها الشكل الفني الأقدر على التعبير عن حياة الإنسان بغموضها وتعقيدها وتشابك علاقاتها التي لا تنفك تأتي في صورة جديدة أكثر تعقيدا، فباستطاعة الرواية أن تعبر بدقة عن عواطف الناس، عن أفكارهم، وعن رؤاهم للحياة بأزماتها وتساؤلاتها التي لا تفتأ، تحاصرهم، وتأرق تجاربهم على الأرض»[3].

والرواية العربية هي «فن حديث، لا تقليد له سابقا أو موروث، في تراثنا العربي الأدبي، ذلك أنه لا إن كان للعرب تراث سردي، وكان بإمكان الرواية العربية أن تفيد منه، فإن علينا كباحثين ونقاد أن نميز بين الفنون السردية التي منها الفن الروائي»[4].

فالرواية العربية الحديثة خرجت عن المألوف فأصبح « السرد الروائي الحديث في تشكله عالما روائيا قواعد وتقنيات تخصه وتميزه بصفته الروائية»[5]. فهي أصبحت توظف الواقع والمتخيل في سردها ولا تستطيع الاستغناء

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنية السرد)، دار علم المعرفة، الكويت، دط، 1998، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] أحمد القرملاوي، تحولات الواقع في مرآة الرواية العربية، 05/09/2021 https:// alarab.co.uk.

[4] يمني العيد، الرواية العربية المتخيل والبنية الفنية، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط1، 2011، ص 7.

[5] يمني العيد، الرواية العربية المتخيل والبنية الفنية، ص7.

عنه لأنه يضيف عليها جمالا فنيا ويخرجه عن دائرة الجفاف المعتاد عليه قديما فالروائي يأخذ مادته الخامة من الواقع ويضيف عليه إبداعه الخيالي ليصل إلى عمل فني يؤثر في نفسية القارئ.

واستعمال الكتاب للخيال في الرواية العربية دليل على تقدمهم الفكري وتخليهم عن قوالب الكتابية القديمة. فـ« التخييل أحد أبرز الآليات النظرية والأدوات الاجرائية الدالة على ارتقاء الفكر البلاغي والنقدي عند العرب وتطور طرائق نظره في النص الشعري ومراقبته لمستوياته الجمالية وخصائصه الأسلوبية»[1].

فالروائي في الرواية العربية يتخيل انطلاقا من وقائعه المعيشي «إن ما يتخيله الروائي لهو عالم موجود، أي أن المتخيل قائم بالواقع المادي، ولا يخرج عنه حتى في حالات الهلوسة والهذيان المحموم، إننا نتخيل بالأبيض والأسود كما نتخيل بالألوان، ونحن مشروطون بالمعطيات الخارجية، حتى في الحالات الشاذة إذا لم يقع تخيل بالألوان، ونحن مشرطون بالمعطيات الخارجية حتى في الحالات الشاذة إذ م يقع أحد منا أشياء غير موجودة حتى في حالات الكتابات الروائية المستقبلة»[2].

كما أن الرواية العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع كون النص الروائي مجرد صورة عن الواقع الذي يعيشه الكاتب وانعكاس عن الحياة الواقعية فلا يستطيع أن يكتب دون أن تكون له تجارب في المجتمع وغير منخرط فيه «يرتبط النص الروائي بالواقع محاولا أن يكون له صداه وليس العكس فالصدى الذي يحدثه الواقع في النص تيمة تنتمي إلى التقنية، فالواقع بالنسبة للنص تقنية، والنص بالنسبة للواقع موضوع... الواقع يفرض نفسه في النص بوصفه قناعا لأنه لا يظهر بصورة مباشرة تجعله يربط المتخيل بالواقعي أو تحيل الصورة المطروحة في النص إلى الواقع بوصفه مرجعية، الواقع يطرح نفسه بقوة القناع لا بقوته هو، فالواقع يعبر إلى منطقة الفن في صورة تؤهله للعمل بصورة

[1] يوسف الإدريسي، مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والاميدادات، دار الوجوه للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 12.

[2] سعيد علوش، الواقع والمتخي والمحتمل في الرواية، الرواية العربية الجديدة، العدد 2-3، 1980، ص 70.

أشد قدرة أن يكون دالا مكتسبا دلالة يفتقدها في سياقه الواقعي المباشر»[1]. من هنا يتضح لنا أن النص الروائي لا يمكن فصله عن الواقع.

في الأخير نستطيع القول أن الرواية العربية لا يمكنها التخلي عن الواقع والمتخيل ولا الفصل بينهما، فالواقع هو جوهرها الفني ومادتها الخامة التي تستمد منها موضوعاتها، كما لا يمكن فصل الخيال عن العمل الأدبي فهو يمده بجمال فني ويبعده عن الجمود والانحطاط فكل من الواقع والمتخيل له دور فعال في بناء الرواية العربية.

[1] مصطفى الضبع، الواقع وأقنعته في الرواية العربية، 31/08/2021 https:// alketaba.com

الفصل الأول: تجليات الواقع في رواية 'رغوة سوداء' "لحجي جابر"

1- الشخصية الواقعية في الرواية.

2- الزمن الواقعي في الرواية:

أ- الزمن الفني (الماضي، الحاضر، المستقبل).

ب- الزمن النفسي.

3- المكان الواقعي:

أ- أماكن مفتوحة.

ب- أماكن مغلقة.

1- الشخصية الواقعية في الرواية:

تستمد هذه الشخصية صورتها من الواقع الفعلي وتمثيلها في هذا النص الروائي الشخصيات الآتي نذكرها:

أ- داويت:

تهيمن شخصية هذا الرجل الأرتيري على باقي الشخصيات، ويذكر أنه جاء لهذه الدنيا إثر علاقته غير شرعية، أي ما يسمى بثمار النضال عند الإرتربين «هو يقول إنه أحد أفراد ثمرة النضال»[1]. كما أضاف في إرتريا يطلقون هذا الاسم على الأطفال الذين جاؤوا نتيجة علاقة غير شرعية بين الجنود في جيهات القتال"، واسمه هو 'آدال' الذي يعني الجبل أو الوادي ومعركة «هل أذكر اسمي الذي أعرفه؟ أدال؟ ستعرف على الفور معنى أن يسمى شخص باسم جبل، أو وادي أو معركة»[2].

ومما ورد حول داويت أنه عاش الفقر والحرمان، كما أجبر على أداء الخدمة العسكرية، ونتيجة لحالة الحرمان هذه فإنه قرر الرحيل بلا رجعة إلى بلد آخر يضمن له العيش الكريم، وبالفعل بدأت فكرته هذه بالإقلاع من مطار أريس بابا نحو الكيان الصهيوني الذي يمثل بالنسبة له مكانا للرفاهية وتحقيق الأحلام والآمال المفقودة في وطنه الأم، «الرجل الجالس إلى جوار النافذة في المقعد سبعة وثلاثين من الحافلة الرابعة... يغطي رأسه بقماش أبيض نهاياته زرقاء معقودة، بينما تحجب يده الموضوعة على وجهة ما تبقى من ملامحه»[3]. كما تظهر صفاته من

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 83.
[2] المصدر نفسه، ص 103.
[3] المصدر نفسه، ص 10.

خلال هذا المقطع «بدت الملامح كاملة في أواخر الثلاثين، قامته تميل إلى القصر بأكتاف مستقيمة، داكن البشرة، شعره قصير مجعد متباعد جبهته صغيرة بارزة، وأنفه الأفطس يحتل المساحة الأكبر من وجهه»[1].

إضافة إلى هذا نجده ذو جسد ضئيل ويعتبر داويت هو بطل الرواية وله حضور مكثف في جل الرواية.

كان هذا الأخير يخترع لنفسه شخصية جديدة مغيرا اسمه ودينه وتاريخه بحسب ما تقتضيه الحاجة، فلقد خاض كل هذه التضحيات من أجل تحقيق مراده والوصول إلى أرض الميعاد، يبدو هذا واضحا من خلال هذا «ينظر الوراء، يستعيد رحلته الطويلة ويمني النفس أن تكلل خاتمها بشاغله الوحيد: النجاة »[2]! عمل داويت خلال حياته كلها على تحقيق هدف واحد فقط، هو هجرة الذي تجلى في جل صفحات الرواية لا يتورع عن الكذب واختلاف الحكايات الملفقة ليحصل على ما يريد ويظهر ذلك في المقطع «يجب أن تختار موعدا يبدو دقيقا، فهذا يجعل حكايتك أقرب إلى التصديق. يجب أن تحفظ التواريخ جيدا. الخطأ فيها قاتل، يزرع الشك ويضعف حكايتك»[3]. بالإضافة إلى علاقته بالشخصيات البارزة في الرواية مثلا نجد سابا صديقته التي طالما كانت إلى جانبه عند الحاجة والتي التقى بها في غوندار هنا ستكون في حمايتي دائما ولن يقترب منك أحد كما أن سابا كانت شخص مقرب منه فهي بمثابة بئر أسراره إنّ الحياة العادية، لكن الآمنة في الوقت عينه، كانت أقصى أمانيه، ليفاجئ، بالمخيم وقد أصبح جحيما آخر خاصة بعد أن عجز دفع ما عليه للمهر بين الذين لاحقوه.

مطالبين بأموالهم، قبل أن يتحول الأمر إلى التهديد بالقتل. هرب منهم إلى غوندار وكلّ همه أن يجمع مالا يعينه على الالتحاق بمخيم الفلاشا ومن هناك إلى إسرائيل قبل أن يتمكن منه مطاردوه»[4].

---

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 10.

[3] المصدر نفسه، ص 76.

[4] المصدر نفسه، ص 37.

كما نجده على علاقة وطيدة بشخص يوهناس الذي التقى به في مخيمات اللاجئين في إنداغابونا إثيوبيا الذي سبق أن عرفه في الوادي الأزرق حيث كانا يتعرضان هناك لأشد أنواع العذاب.

- **سابا:**

تتميز هذه السيدة بشخصيتها الصارمة وفي الآن نفسه قلبها طيب إلى أبعد الحدود، ذكرت في الرواية على أنها صديقة مقربة لدوايت، كما انه تملك فندقا يسمى أباسينا «أخبرته أنها قدمت منذ عقدين إلى غوندار برفقة زوجها الذي اشترى مبنى متهالكا وأعاد ترميمه ليحوله إلى أهم فندقا في المدينة»[1]. ونتيجة لوفائها لصديقها فإنه لم تتردد في تقديم يد المساعدة له وذلك من أجل قبوله في مخيم اللاجئين بإثيوبيا «اتفقت مع كبير المجموعة على كل ما رأيته أمامك، وكان شرطه الوحيد ألا أخبرك كي يبدو كل شيء طبيعيا، فهو لا يريد أن يشيع أنهم يدخلون الناس إلى المخيم مقابل عشرة آلاف برّ»[2]. وكانت سابا هي الشخص الوحيد المقربة لداويت واللطفة معه. «تمنى ألاّ تكون سابا هي الشخص الوحيد اللطيف معه في غوندار»[3]. اشتهرت بين شعب غوندار بأنها لم ترد سائلا أبدا عند جاءهم إليها.

- **يوهناس:**

شاب صغير إيرتيري الأصيل يتميز بالتخانة وبلباسه وشكله الإفريقي المتعارف عليه، يثبت بكلتا يديه سرواله المترخي كما ورد الذكر أنه صغير السن «بدا يصغره قليلا بقسمات وجه طفولية تتعارض مع الجسد الضخم المترجرج، المحشور في جينز أزرق وقميص بنفس اللون. وبشرته فاتحة، لكن شعره أجعد»[4]. ومما ذكر حوله أنه

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 36.
[2] المصدر نفسه، ص 29.
[3] المصدر نفسه، ص 38.
[4] المصدر نفسه، ص 60.

تمكن من الإفلات والهروب من التعذيب في الوادي الأزرق مسئولي الخدمة العسكرية، ولكي يتسنى له اللجوء خارج وطنه عمد إلى تغير اسمه وهناك التقى بداويت الذي سبق أن عرفه في الوادي الأزرق «لقد دخلنا الوادي الأزرق في اليوم نفسه، وكنت شاهدا على بعض ما جرى لك هناك، لكي في النهاية سبقتك إلى هنا»[1].

أنه كان دراية بقصة داويت ومغامرته في تغيير اسمه بين الجبن والآخر رغبة في الوصول إلى مراده وهكذا أصبحنا صديقين بعدما عرف داويت أن يوهناس أيضا خاض مقامرة تغيير الشخصية ليصل إلى هذا المكان «حسنا... ربما يريحك أن تعرف أن يوهناس أيضا ليس إلا اسما العبور الجحيم»[2]. كما يذكر أيضا أن يوهناس تعرض للغدر من طرف صديقه الذي أحس بالغيرة منه «عشية مغادرة يوهناس، كان ديفيد قد يئس تماما، وبدأ في معاونة رفيقة على تجهيز أموره. عرف كل التفاصيل. اسم المهرب، ومكان لقائه وخط المسير، عرف أشياء عن غوندار وناسه. وقبل موعد المغادرة، كان ديفيد في طريقه إلى غوندار ومعه المال الذي سرقه من يوهناس بعد أن ضربه بعصا وجهد أمام جسده الضخم ليطرحه أرضا»[3].

- **يعقوب:**

شاب سوداني الأصل من الأوائل القادرين إلى الكيان الصهيوني راغبا في بناء حياة جيدة تاركا مسقط رأسه «شوف... أنا من أوائل القادمين إلى إسرائيل»[4]، بدأ رحلته «غادرت دار دافور برفقة صديقين إلى القاهرة وغرضنا الحصول على بطاقة لاجئ تطير بنا إلى أوروبا»[5]. وخلال مشواره هذا تعرض للعديد من الصعوبات والمشاكل لعل أهمها عدم حصوله على أبسط شيء وهو مأوى يلجأ إليه طلبا للراحة. «وكنا قد دخلنا شهرنا

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 61.
[2] المصدر نفسه، ص 61.
[3] المصدر نفسه، ص 209.
[4] المصدر نفسه، ص 112.
[5] المصدر نفسه، ص 112.

الثالث من الانتظار بلا معنى، يقرصنا البرد والمطر ولا نملك إزاءهما إلا أكياسا من البلاستيك نضعها على رؤوسنا»[1]. إلى جانب هذه المعاناة كان يتعرض للضرب من طرف قوات الأمن المصرية. «ومع صباح الجمعة الذي أذكره جيدا بدأو يطلقون علينا خراطيم المياه، إنهالوا ضربا بالهراوات،حين وجدوا مقاومة من قبل المحتجين .عمّت الفوضى ولم نعد ندري أين نذهب»[2]. وخلال هذا الاشتباك فقد أعزّ صديق له «وحين هدأت الأمور، تنبهنا للفاجعة، خمس وعشرون روحا أزهقت ذلك الصباح، بينهم أعزّ صديق، لا تزال ملامح القتلى تطاردني مهما سعيت لأنسى ما جرى. لا أعرف كيف نجوت، كانت حفلة للموت لا يفترض أن ينجو منها أحد»[3]. هذا ما جعله رفقة أصدقائه يهاجرون سرّا إلى الكيان الصهيوني محاولين الهروب من الجحيم الذي عاشوه في مصر، «لا أعرف كيف بدأت فكرة الهجرة إلى إسرائيل، لكني سمعت الرفاق يتهامسون بأنّ أعداد غادرت بالفعل ولقيت الترحاب. ترددت في البداية لكن تعسّر الأحوال كان له القرار الأخير حتى...»[4]، لكن ولسوء حظهم تم القبض عليهم من طرف حراس الحدود اليهود، «قبلتنا فرقة من حرس الحدود الإسرائيلي واقتادتنا إلى سجن كتسيعوت في النقب .قالوا أننا سنمر بإجرءات روتينية لن تتجاوز الساعات، لكن ما حصل هو أن أحسننا حالا مكث أشهر هناك»[5].

لكن للأسف رغم تلك محاولات إلا أنه لم يتحصل على بطاقة لاجئ «خرجت كتسيعوت بعد ستة أشهر من تذكرة حافلة إلى تل أبيب. وبطاقة تقول إنني مستفيد من إطلاق السراح المؤقت فلا يحق لي العمل. عرفت أنّ

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 112.
[2] المصدر نفسه، ص 113.
[3] المصدر نفسه، ص 113.
[4] المصدر نفسه، ص 113.
[5] المصدر نفسه، ص 114

صفتي الجديدة هي متسلل وليس لاجئا، لكن لم أدرك إلا متأخرا أنّ ذلك يعني إغلاق الباب تماما أما قبول أوراقي. لكن لم يكن هذا حال الجميع، فقد خرج آخرون ببطاقة لاجئ وهو اليوم أنصاف مواطنين»[1].

- **الحاخام:**

هو رجل الدين الرئيسي والأعلى مرتبة في الديانية اليهودية. «الرّباني في اليهودية، ويسمى الحبر والراب والحاخام، هو زعيم ديني. كلمة حاخام العربية ترجع إلى الكلمة العبرية أي 'حكيم' وهي اللقب الذي أطلق على زعماء اليهود في البلدان العربية والإسلامية. أما اللقب الأكثر انتشارا لدى اليهود وباللغة العبرية فهو رب أو ربي، ويعني بالعبرية 'سيد' أو 'معلم' و(الكلمة النظيرة بالعبرية هي رب بمعنى سيد)»[2].

ويذكر في الرواية أنهم صعدوا إلى الحافلات لتقديم خطبة للقادمين إلى غوندار قبل الوصول إلى أرض الميعاد (الكيان الصهيوني)، «الحاخامات الثلاثة فابتسم بعجب لإتقانهم التحيّة بالعبرية وهو يردّد "يبارك الله غوندار" لكنه ما إن راح يسترسل باللغة نفسها حتى اتضح ألا أحد يفهم ما يقول»[3]، من بين ما قاله الحاخام نجد «أنتم على بعد ساعات من تحقيق حلمكم بالعودة إلى أرض الميعاد، إلى أرض اللبن والعسل، إلى إسرائيل الكبرى، حيث تنتهي الآلام بالخضوع لمشيئة الربّ. أجنحة الحمامة، هذه الحملة المباركة تحيط صلوات كلّ فرد في البلاد هناك، التعب الذي قابلتموه بصبر المؤمنين قبل الوصول إلى غوندار، انتهى إلى الأبد. ذلك لم يكن سوى امتحان من الربّ لمدى تعلق أفئدتكم بالأرض المقدسة...»[4].

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 114.
[2] ويكيبديا الموسوعة الحرة، https://ar.m-wikipedia.org 2021/08/21 / 15:50
[3] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 17.
[4] المصدر نفسه، ص 17.

كما أن الحاخام هم من يؤدون الطقوس الدينية بمختلف أنواعها، من بين من مر عليهم نجد داويت الذي أدى طقوسا للعودة إلى اليهودية. «تذكر حين أخبرته أنّ جميع من بالمخيم ينظر إليهم كعائدين إلى اليهودية بعد أن حرفتهم أوضاعهم السابقة إلى ديانات أخرى، لذا يمرّون بطقوس تطهّر إلزامية، ويتم تعليمهم الحد الأدنى من الشريعة اليهودية تحضيرا لرحلتهم إلى أرض الميعاد»[1]. مما يذكر عن تلك طقوس في الرواية. «نال ما يشبه الإشارة له أن يغطس في الحوض، فسارع ليستر عريه. بدا الحاخام حريصا على أن يغمر الماء كل بقعة في جسد المعَمَّد، فكان يطلبه بتكرار الغطس، بينما اكتفى داويت وهو يستعجل الخروج يغمر عنقه وملامسة ذقنه الماء، قبل أن يقول رجل الدين أخيرا بدفع رأسه إلى الأسفل بقوة والإبقاء عليه مغمورا كاملا، وهو يتلوعليه الشهادة بنبرة تعلو بتسارع ضاغطا على الأحرف الأخيرة»[2]، فما أن انتهى داويت من تلك الطقوس أعتبر عائدا إلى اليهودية «انتفض داويت رافعا رأسه وهو يسعل وينثر الماء عن فمه وأنفه بعد أن بلغ تحمّله منتهاه. ضحك الحاخامات قبل أن يكمل رجل الدّين صلاته على عجل، ويبشره بانتهاء (البيكفية) وبداية عودته إلى دين الأسلاف بعد سنوات»[3]. في هذا المقطع يصور لنا ما مرّ داويت الرجوع على اليهودية.

- **عائشة:**

هي عشيقة داويت التي التقى بها في شارع كمشتاتو خلال الاحتفالات بالنصر ويتجلى ذلك في قول الكاتب «حين رأتني اقترب غذّت السير متجاوزة الأجساد المتلاصقة حتى خرجت من دوائر الازدحام إلى شارع جانبي في كمشتاتو. هناك خففت من سرعتها كأنها تعطي الإشارة لألحق بها قبل أن تتوقف تماما عند مطعم نابولي للبيتزا الذي أغلقه صاحبه فيما يبدو وخرج يلحق بالحشد»[4]. يصفها بأنها ذات جمال فتان

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 39.
[2] المصدر نفسه، ص 41.
[3] المصدر نفسه، ص 41.
[4] المصدر نفسه، ص 87.

«شعرها القصير الفاحم، سمرة وجهها الشهية، النظارات الطبية دائرية، العدسات تمنحها شكلا بريئا ومغريا في الآن نفسه، بروز لعظمتي الوجنتين، امتلاء خفيف في شفتها السفلى، أثر جرح صغير في طرف الشفة العليا، حبة خال كبيرة في نقطة التقاء نحوها بأول الصدر»[1].

ومما يذكر حولها أنها فقدت والدها وتولت أمها رعايتها وتربيتها «أبيها الذي غاب مبكرا حتى قبل أن تكون عندها ذكرايات تسليها ، عن أمها طيبة القلب، التي تولّت مسؤولية تربيتها وأغلقت الباب أمام طابور المريدين»[2]. الذين كانوا ينوون التقدم لعرض الزواج منها.

- **موظف الأوروبي:**

أوروبي الأصل يشغل موظف في مكتب مفوضية اللاجئين في إندغابونا، إذ يعمل على منح التأشيرة للجوء إلى أوروبا، ويذكر أنه «دخل وأغلق الباب خلفه، غرفة صغيرة بطلاء أبيض كامل يتوسطها مكتب بنيّ يجلس خلفه رجل أوروبي بشعر أشقر خفيف، ونظارة سميكة العدسات بدا في الخمسينيات من عمره لكن بجسد متماسك، وإلى جواره شابان إثيوبيان أحدهما يقوم بمهام الترجمة والآخر يوثق المقابلات في دفتر كبير»[3].

على يد هذا الرجل يمر العديد من الأشخاص بمقابلة شفوية طلبا في الحصول على البطاقة الزرقاء التي تمكنهم من الذهاب إلى البلدان الأوروبية والاستيطان بها. «أمسك بالبطاقة الصفراء، وينمي نفسه أن يتمكن من استبدالها بأخرى زرقاء، حيث يحق له أن يعاد توطينه في أي دولة يختارها من قائمة طويلة، هل يختار

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 102.
[2] المصدر نفسه، ص 124.
[3] المصدر نفسه، ص 79.

أمريكا؟ كندا؟ أستراليا؟ ماذا عن بريطانيا؟. لا .... ربما السويد أو سويسرا. المهم أن يختار بنجاح مقابلة مكتب مفوضية اللاجئين خلال الساعات المقبلة»[1].

وكان من بين الذين إستقبلهم نجد داويت الذي خاض هذه التجربة راغبا في النجاة وتحقيق حلمه المنتظر «سيقول الحقيقة، سيحكي حكايته الخاصة، سيسمع الأوروبي شيئا لم يسمعه من قبل، وسيبذل سّره الكبير من أجل الخلاص»[2]. وبعد الحوار معه أعجب الأوروبي بقصة داويت «حسنا... لابد أن اعترف أنك أبرع حكماء في إنداغابونا كله»[3].

وعلى الرغم من إعجابه شديد بذكائه إلاّ أنه رفض ملفه «مدّ الأوروبي بملف ديفيد إليه بعد أن دمغه بختم الرفض الأحمر، وهو يتمنى له التوفيق في حياته وسط إنداغابونا»[4]. وبالتالي فإن حلم داويت قد تبخر بالذهاب إلى أوروبا.

- **سارة:**

شابة في عمر الزهور وهي طالبة تتميز بكونها تدرس الجامعة العبرية علم النفس، تقيم في حي الشيخ جّراح بالقدس «في أوائل العقد الثالث، وجه أبيض يميل إلى الطول، يحيط به شعر متموج، عينان حادتان أقرب إلى الشراشة، تعلوهما حواجب كثيفة ونظارة طبية دائرية العدسات بدت جزءا أصيلا من الوجه لا يمكن تخيله دونها»[5].

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 74.
[2] المصدر نفسه، ص 83.
[3] المصدر نفسه، ص 188.
[4] المصدر نفسه، ص 189.
[5] المصدر نفسه، ص 179.

بالإضافة إلى ذلك نجدها تهوى الموسيقى خاصة العزف على العود «نشأت في بيت موسيقي، وكيف سقاها والدها الموسيقار هذا العشق قبل أن يرحل باكرا، فقدت الموسيقى رابطتها الأبدية به»[1].

ويذكر أنها كانت تقوم بالبحث الجنسي وهذا بغية إنجاز بحثها الأكاديمي «مم... لكني أبحث عن لاجئين من إرتريا والسودان لتطبيق بحثي. هل يمكنك أن تدلّني على أحدهم»[2]. أجرت بحثها هذا على داويت الذي أصبح فيما بعد موضوع دراستها «اسمع سنبدأ فورا. بحثي يتعلق بتأثير معاناة اللاجئين في مجتمعات لا تتقبلهم بسهولة على حياتهم الجنسية، ولكن أجد أفضل منك لأختبر كل فرضيات علم النفس. وأنا واثقة أن ورقتي ستكون حديث الكلية كلها»[3].

بالفعل بدأت عقد جلسات عديدة معه طارحة فيها أسئلة عليه، لتصل إلى استنتاجات تكون خلاصة لبحثها الجامعي. «حسنا لنتفق على التالي قبل نبدأ أريدك أن توقع على هذا الإقرار بالموافقة على الاشتراك في البحث. هنا كما ترى فقرة تقول إنك استجابت لإعلان قراءاته يبحث عن متطوعين»[4]. بعد موافقة داويت على إجراء بحثها بدأت سارة في جمع المعلومات المهمة ليكون بحثا قيم تتحدث عنه كل جامعة التي تدرس فيها هذا انطلاقا من أسئلة التي تطرحها على داويت لتصل إلى خلاصة بحثها «كما توقعت، جلسة مقيدة ولاشك. أشكرك كثيرا، وأعذرني إذا كنت قد أرهقتك»[5]، كما أنها سجلت ملاحظات بالإضافة إلى كلام داويت في جهاز التسجيل،

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 198.
[2] المصدر نفسه، ص 185
[3] المصدر نفسه، ص 194.
[4] المصدر نفسه، ص 215.
[5] المصدر نفسه، ص 215.

كانت شديدة الحرص تتبع اللاجئين الأفارقة في كل مكان حطوا فيه غير lمبالية بحياتها همها الوحيد إتمام بحثها «أخذت سارة تلتقط صورا للمتظاهرين، لوجوههم تحديدا»[1].

–أم عائشة:

امرأة أربعينية جذابة تملك مطعم في شارع برافولو في أسمرا هي الأم عائشة ،طيبة القلب تولت مسؤولية تربيتها وأغلقت الباب أمام" طابور المريدي يصفها الراوي« مدّت الأم يدها البيضاء بتراخ، أمسكتها وخطفت نظره على العروق الخضراء»[2]. كانت تشتغل «شارع ترافولو حتى وصلنا إلى مطعم La madia في الداخل كانت تقف أربعينية فاتنة»[3]. ولقد كانت شديدة الحرص على ابنتها الوحيدة «تلك الملامح الناعمة والصارمة في الآن نفسه»[4]، كما أنها طباخة ماهرة «سيتذوق أعظم بيض بالفطر في أسمرا. لا أحد يتفوق على مطعم أمي في ذلك»[5]. فهي تحمل حنان أو بداخلها وحرص الأدب.

[1] حجّي جابر رغوة سوداء، ص 220.
[2] المصدر نفسه، ص 120.
[3] المصدر نفسه، ص 120.
[4] المصدر نفسه، ص 122.
[5] المصدر نفسه، ص 121.

-محمد علي:

هو أحد المسلمين الأفارقة المتواجدين في القدس يبلغ من العمر حوالي خمسين سنة، له أربعة أبناء منهم أدم وله أربعة إخوة منهم ياسين هذا أخير التوأم محمد ياسين«... وهناك ثلاثة آخرون يصغروننا لنلتقي بهم محمد محمود، ومحمد إسحاق، ومحمد جبريل هذا ولدنا داود من إرتريا ذو بشرة سوداء يملك داخل محل في إحدى شوارع القدس»[1]، يسترزق به مر «بخمسين أكبره يغلق أبواب محله»[2]، ويلقب بماريل «اسمي محمد علي أو ناديني ماريل اختصارا»[3]. التقى بداويت أمام باب محله وتعرف من لون بشرة داويت أنه اليرتيري حيث قال «لا أحد يغلبني في تميز وجوه الأفارقة هيا أخبرني هل قدمني من مصوع أم غودات أم عصب؟ ملامحك لا تدل أنك من أبناء أسمرا»[4]. استضاف داويت في منزله عندما عرف أنه بلا مأوى «ما إن عرف أنه بلا مأوى حتى أصر عليه أنه يرافقه وهو يذكره أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعض»[5]، وبعدها أصبح داويت مساعد ماريل في المحل «بدأ يناول ماريل سبحا يطلبها الزبائن، شعر بالزهو وهو يتلقي اطراء من صاحبه على تفانيه في معاونته»[6].

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 241.
[2] المصدر نفسه، ص 233.
[3] المصدر نفسه، ص 234.
[4] المصدر نفسه، ص 233.
[5] المصدر نفسه، ص 234-235.
[6] المصدر نفسه، ص 239.

- **أم آدم:**

هي امرأة مسلمة «ترتدي جلبابا واسعا»[1]، وهي مروحية ماريا استضافت داويت في منزلها قامت يستحضر الأطباق الإفريقية له «حيث المرأة داود بعربية كسيحة وأكملت رص الأطباق وغادرت على عجل»[2]، ومن الأطباق التي حضرتهما «العصيدة وهذا أدام كركنعي وهي المديدة»[3].

-محمد ياسين:

شاب مسلم من جنسية إفريقية، حاد الطباع وسريع الغضب، يقطن في القدس وهو توأم محمد علي الملقب بماريل « تبادل ياسين التحيات مع داود قبل أن يخبره ماريل أنه كان منخرطا في تعريف ضيفه بوجودهم القديم في القدس»[4]. وهو من خصوم الكيان الصهيوني يكن لهم عداء شديد «ياسين حادّ الطباع كما رأيت له تجربة مريرة في الاعتقال بعد أن حاول زرع قنبلة في حافلة نقل اسرائلين ردا على اعتقال عضو بارز في الجبهة الشعبية»[5].

السبب الأساسي لوجوده في القدس هو سبب ديني قبل أي شيء آخر«لكن لا يمكن أن ننكر أنّ أساس وجودنا هنا كان دينيا قبل أي شيئ. كما أن مفتي القدس الحاج أمين الحسيني لم يكن ليجعلنا حراسا على الأقصى بعد شدة بأسنا إلا بسبب تديننا»[6].

---

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 235.
[2] المصدر نفسه، ص 236.
[3] المصدر نفسه، ص 236.
[4] المصدر نفسه، ص241.
[5] المصدر نفسه، ص 243.
[6] المصدر نفسه، ص 242.

فجلّ عائلته كانوا حراس القدس «أبائنا وأجدادنا كانوا ملكين أكثر من الملك. لم يكونوا يسمحون لغير المسلمين بدخول الأقصى مهما كان الأمر»[1].

كانت تواجههم مشاكل وصعوبات في هذا البلد بسبب نوع بشرتهم فهي سبب العنصرية التي يعانون منها «نعم هناك مشاكل تحيط بنا، فالاسرائيليون يعادوننا بسبب موقفنا من الاحتلال، وبعض أهلها لم يستطيعوا حتى الآن أن يتقبلوا لون بشرتنا لكن لا يمكن للحياة أن تكون بلا مشاكل»[2].

2- الزمن الواقعي في الرواية:

إن أول شيء يثير انتباه القارئ في رواية رغوة سوداء هو قدرة الكتاب في التلاعب بالزمن والانتقال من حدث إلى آخر بوتيرة متذبذبة مما يولد صعوبة على الوقوف علي زمن محدد فهو ينتقل براعة بين الماضي والحاضر والمستقبل تارة والزمن النفسي تارة أخرى، مما أكسب الرواية شكلا جديدا في السرد.

أ- الزمن الفني (الماضي، الحاضر، المستقبل):

تجلى الزمن الماضي في الرواية بشكل كبير في الاسترجاعات التي عمد إليها حجي جابر تتعلق بأماكن مختلفة زارها البطل داويت خلال رحلته الطويلة للبحث عن الخلاصة والنجاة «كانت رحلة يائسة لا تحمل سوى خاتمتين، إما الوصول إلى الوجهة الأخيرة أو القتل على يد رجال الأمن ومع فقد أقدم عليها "داود" حين تساوى عنده الموت والحياة في المعسكر، التجنيد الإجباري. لذا حين عبر الحدود، برفقة عشارات، كان على خلافهم تماما، فقد توقف لينظر ورائهم. أراد أن يستشعر حقيقة النجاة، حقيقة مفارقة الإدلال إلى الأبد...»[3].

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 242.
[2] المصدر نفسه، ص 244.
[3] المصدر نفسه، ص 52.

ففي صفحات الرواية استرجع داويت ماضيه القاسي خلال جلسته في مفوضية اللاجئين في أنداغابونا هو ثمرة نضال لم يعرف أبويه أبدا «هو يقول إنه أحد أفراد ثمار النضال في إرتيريا يطلقون هذا الاسم على الأطفال الذين جاءوا بالعلاقات غير الشرعية بين الجنود في جبهات القتال»[1]. هناك أخذ إلى أسمرا للاحتفال بالنصر «كنت منتشيا وأنا أتابع ما يجري. تمنيت لو أستطيع النزول حتى يحتفي بي الناس أيضا. لكن تعليمات القيادة كانت صارمة في ضروة أن نبقى نحن بالذات في شاحنة حتى الوصول. يملأني الزهو بهذا النصر»[2].

وبعدما مرّ به داويت في أسمرا والاحتفالات التقى بحبيبته عائشة هناك «حين رأتني غذت السير متجاوزا الأجساد المتلصقة حتى خرجت من دوائر الازدحام إلى الشارع كمشتاتو. هناك خففت سرعتها كأنها تعطي الإشارة لألحق بها قبل أن تتوقف تماما عند مطعم نابولي للبيتزا الذي أغلقه صاحبه فيما يبدو وخرج يلحق بالحشد»[3]، تربطهم علاقة غرامية كما استرجع حبسه الانفرادي الذي أبعده عنها، «تسارعت إلى احتضاني وهي تبكي أعدنا مشهد العودة الأولى نبكي ونحكي لبعضنا طعم الغياب المرّ قبل أن نضيع في قبلة طويلة امتزجت فيها ملوحة الدمع الخفيفة بريق عائشة وأعادت لنا شعور الاطمئنان بعد زعزعة الأيام الفائتة»[4].

كما تذكر ما عاشه في المخيم «كان داود يعرف أن إندغابونا مجرد مخيم استقبال، وأن ثمة فرصة ضئيلة لإعادة التوطين في دولة أوروبية، بينما يتوزع البقية على مخيمات دائمة داخل إثيوبيا، وهذا ما جعله يتمنى لو يشارك في الحوار، لو يستفسر أكثر، لكن الحديث الهامس كان علامة على سريته. عمّ صمت وداود يخشى أن يكون الحوار مستمرا أن تلتقط أذانه نبرته المنخفضة»[5].

---

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 83.
[2] المصدر نفسه، ص 84.
[3] المصدر نفسه، ص 87.
[4] المصدر نفسه، ص 169.
[5] المصدر نفسه، ص 54.

يتجسد الماضي في براعة الكاتب وتغير اسم البطل ودينه بين الحين والآخر بما تقتضيه الضرورة، فتارة يعود إلى اسمه وتارة أخري إلى أسماء التي اختارها لنفسه «داويت كان في الوسط يحكم غطاء رأسه كي يحجب أكبر قدر من ملامحه لم يتخلص بعد من إحساسه بانكشاف، ولا يزال يشعر أنّ ملامحه تجذب الأنظار إليه تنادي على العابرين لتخبرهم أن اللص هنا وبحوزته كل الأدلة على جرائمه»[1].

كما أضاف «هذه المرة غادر داويت السكن نهارا بمجرد أن انتهى من دروسه أراد رؤية نافيه شأنان تحت الضوء. سار بثقة وهو يرى المكان بملاح طبيعية. حركة ذائبة في كل الاتجاهات أناس الجنسيات المختلفة، لكن السحنة السوداء ظلت هي الغالبة»[2].

كما إسترجع حجّي جابر «فتح ديفيد عينيه بانزعاج وهو يتفادى بكفيه شمس الصباح، ويزيل عن وجهه وشعره التراب العالق بهما. لم يفهم صراخ الرجل فوق رأسه ومطالبته بالنهوض حتى وهو يرى يكرر ذلك مع النائمين إلى جواره»[3].

كما يظهر الاسترجاع في المقطع «تداعت أصوات عربات الشرطة على مدخل النافية شأنان فتحفزت المارة. شعر داويت بالخوف وهو يلتمس في وجه يعقوب وأصدقائه ما يبعث على الطمأنينة»[4]، بالإضافة «في طريق العودة، التفتت المرشدة إلى داويت ورفيقه وهي تسألهم عن أبرز مكان علق في أذهانهم بين ثلاثة التي تم زيارتها»[5].

عمد الراوي في جل روايته إلى استرجاع فورد«حاول ديفيد التماسك تمنى لو يستطيع أن يحكي له عن خيبة التي تجرعها في داخل، عن إحساسه الكبير بالاعتراف ليجد جدارا ضخما في وجهه آخر المطاف. عن الحكاية التي

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 55.
[2] المصدر نفسه، ص 92.
[3] المصدر نفسه، ص 57.
[4] المصدر نفسه، ص 125.
[5] المصدر نفسه، ص 175.

أخرجها عن أعماقه، دون أن يمنعه ذلك أو يضيف منها عن ذاته المثلى كما يجب أن تكون، عن عائشة التي حضرت كما كانت خجولة صادقة ونقية. وحضرت كما أراد، قوية متشبثة بقصتهما»[1].

أما الحاضر تجسد عندما كان الراوي منغمس في سرد حكاية ديفيد لكن في لحظة ذهب بنا إلى الحاضر «رن هاتف الغرفة. كان حارس البناية يخبره أن صديقه ينتظر عند البوابة. استغرب داويت ونزل وباله مشغول وتخمين عمن يكون حتى وجد يعقوب أمامه وعلى شفتيه ابتسامة واسعة»[2].

المستقبل في رواية يتجلى عندما تعرض ديفد لخيبة أمل بعد ان ختم ملفه إلى طلب اللجوء بالأحمر يذهب بنا الرواية إلى القدس بعدما كان في إنداغابونا «مر يومان على زيارته البلدة القديمة، لم يستطع داويت خلالها أن يتألف مع أجواء الضجيج التي تصدر عن محارى وآرون في الغرفة تارة في تعليقاتهما على حلقة معادة من المصارعة وأخرى أثناء لعب الورق بعد أن جاب شخصين آخرين ليكونان فريقان ضدهما دون أن يمنعهما ذلك التلاسن عند كل نقطة لفريق الخصم...»[3]

ب- **الزمن النفسي:**

إن الحديث للوهلة الأولى عن الزمن النفسي يتبادر إلى أذهاننا لأحاسيس و عواطف الشخصيات الروائية كالفرح، الززن، المعاناة، ووالحرمان...فهو زمن من اجتهاد خيال الروائي وابداعه الفني ليبلغ. عن فكرة جوهريه، وقد اعتمد حجّي جابر على الزمن النفسي في رواية 'رغوة سوداء' من خلال رحلة البطل "داويت" الذي سعى إلى النجاة والخلاص من آلام وقهر الذي أصابه طوال حياته في بلده من خلال الهجرة إلى الأرض الميعاد،

[1] حجّي جابر،رغوة سوداء، ص 206.
[2] المصدر نفسه، ص 110.
[3] المصدر نفسه، ص 190.

'الكيان الصهيوني' مستعملا حيلا وطرائق للوصول إلى مراده، «ابتسم وهو يرى كيف يشبه الأمر حياته، وهو ينتقل من دين إلى آخر كي ينجو. رأى داويت وديفيد، ورأى داود منزويا في البعيد»[1].

تعرض داويت خلال رحلته لمآسي حزينة «شعر داويت بلغيض يتسلل إلى نفسه عوض خشيته من إغضابها.سألها يعامل أهل المدينة بيتا إسرائيل بهذه الغلظة. أجابته بأنه خيط من شعور بالحسد والازدراء، فمن جهة، وعبر الزمن، لا كرامة ليهوديّ هنا»[2].

كما يصور الروائي ما تعرض له البطل خلال محاولته الهروب من فندق سابا في غوندار إلى بيتا إسرائيل، لكن قبول بالهجوم ساخر من بعض الناس.

أضاف الراوي في وصف المعاناة «كانت رحلة بائسة لا تحمل سوى خاتمين، إما الوصول إلى الوجهة الأخيرة، أو القتل على يد رجال الأمن. ومع هذا فقد أقدم عليها "داود" حين تساوى عنده الموت والحياة في معسكر التجنيد الإجباري، لذا حين عبر الحدود، برفقة عشرات، كان على خلفهم تماما، فقد توقف لينظر وراءه. أراد أن يستشعر حقيقة النجاة، حقيقة مفارقة الإذلال إلى الأبد. هناك خلف تلك الجبال البعيدة التي استنفذت طاقته وهو يتسلق بعضها ويلتف خلف الآخر، تقع ارتريا. ليس ثمة حنين داخله على الإطلاق. كان الحنين يتساقط من روحه مع كل خطوة يخطوها في الاتجاه المقابل.وكان يتطهّر بالبعد عن الوادي الأزرق يفزغ رصيده من القهر في محاولة العودة غلى روحه قبل أن تلتصق بها النتوءات والندوب»[3]. يتجلى بوضوح الزمن النفسي هنا من خلال ما مرّ به داويت للوصول وتحقيق هدفه الوحيد، الذي أبرزته جلّى صفحات الرواية.

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 156.
[2] المصدر نفسه، ص 48.
[3] المصدر نفسه، ص 53.

أضاف الراوي «لم يعد الأمر يتعلق بمكان ينام فيه، بقدر ما أراد الخيمة ذاتها، والزاوية ذاتها. أراد الانتقام وحسب. شعر بالنشوة تسري في عروقه وتغذّي كبرياء وهو ينتقل ببصره بين العيون بنظرات جسوره. كانت المرة الأولى التي يستطيع فيها الرد بعد أن كان يكتفي دائما بطأطأة رأسه والمضي»[1]، شعر داويت هنا بالتفوق وإعادة هيبة في خيمة ذاتها التي طرد منها من قبل.

كما تجسد الزمن النفسي الذي تزخر به الرواية بشكل كبير، «في ثنايا قصة يعقوب التي سّردها لصديقه داويت والمعاناة وصدمات التي واجهتهم في القاهرة. "مصر" وما تعرض له من مضيقات من قوات الأمن المصرية الذي وصل بهم الأمر إلى القتل هذا ما جعله يفكر بالهروب من الظلم الذي واجهه هناك»[2]. من جهة كان داويت غارقا في أحاسيسه متسائلا عن ذاته وأصله «من أن أكون بلا أب أو أم بلا إخوة، بلا حائط أستند عليه، بلا تأريخ بلا ذاكرة»[3].

أصبح داويت ساردا «كان يراد لنا ألا نتعلق بشيء سوى الثورة لهذا كانت تتناوب علينا المرضعات حتى لا يتحولان إلى أمهات في غفلة من الثورة. تبعثرت عواطف بين النساء كثيرات، لا يكاد فمي يعتاد على ثدي حتى يستبدل بآخر أبدا معه ورحلة الألفة من جديد، لا أكاد أستقر على رائحة مقاتلة وأنا مربوطة على ظهرها، حتى يتم تغيرها بأخرى»[4].وهنا تتجلى نفسيته المحطمة لغياب حنان أمه.

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 59.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 112-113.
[3] المصدر نفسه، ص 117.
[4] المصدر نفسه، ص 118.

كان داويت في كل مرة يصّل إلى محطة يعتليه شعور أنه لا ينتمي إلى هذا المكان «في هذه اللحظة، أدرك داويت وهو يرى بكلماته المعزية، أن تل أبيب لم تكن الا سطحا آخر يقف حائلا بينه وبين أن يغوص داخل، أن يصبح منتميا إلى المكان بكليته. هل هو يقسو على المكان؟ وما الأماكن إلا ناسها؟»[1].

3- المكان الواقعي:

تنوعت وتعددت الأماكن في هذه الرواية ويمكن عرضها على نمطين مفتوح ومغلوق.

أ- الأماكن المفتوحة:

وهي تلك الأماكن التي تكون فيها الشخصيات حرة، أي تمارس نشاطها دون قيود، ويمثل هذا النوع كل من:

-أديس بابا:

هي عاصمة أثيوبا، ويطلق عليها عاصمة افريقية يحدها من أدنى مستوياتها مطار بولي، عبر عنها الروائي حجّي جابر: كما يلي «خمس حفلات متتابعة تحيط بها عربتا شرطة تعّد السير، وسط نثار أمطار خفيفة، من نقطة التجمع في ساحة مسقل وسط أديس وساحة بولي حيث يقع المطار»[2]، ويصفها الكاتب على أنها «بدت أديس حية على خلاف مكان يسمع عنها طوال أعوام. لم يكن الأثيوبيون غارقين في تحفر كما ظن.استغرب كيف أنّ نهر الحياة يتدفق دون الحساب»[3].

[1] حجي جابر، رغوة سوداء ص 87.
[2] المصدر نفسه، ص 09.
[3] المصدر نفسه، ص 13.

-الشوارع والساحات:

تعرف الأحياء والشوارع حركة غير عادية طوال أيام الأسبوع فهي الأماكن التي يجتمع فيها الناس بكثافة .تم ذكرها في رواية بشكل كبير قوله «نقطة التجمع في ساحة مستقل وسط أديس إلى ضاحية بولي حيث يقع المطار»[1]، وأضاف عدة أسماء لشوارع من بينها شارع كمشاتو وشارع الحرية في أسمرا تقام الاحتفالات بالنصر «لم يكن أهالي أسمرا قادرين على إيجاد طريقة التعبير عن سعادتهم كان النصر كبيرا وساحقا وفي أعقاب نكسات عظيمة ثقبت النفوس باليأس وكادت تقودهم إلى الاستسلام»[2]، شارع الحرية في أسمرا.

فالرواية تعج بأسماء الشوارع «أخذ يقلب نظره للمرة الأخيرة في شوارع نافية شأنان شبه الخالية، هنا التقى يعقوب للمرة الأولى، وعلى تلك المصطبة توّطدت علاقته بالحي وناسه، وفي ذلك الزقاق واجه خوفه ودخن الحشيش»[3].

كما أضاف الراوي عدة الشوارع منها شارع نابلس، شارع السلطان سليمان القانوني...

-القدس:

تقع مدينة القدس في وسط فلسطين وهي إحدى المدن الحضارية والمقدسة فقد اعتبرها المسلمون ثالث أقدس الأماكن بعد مكة والمدينة المنورة، وكانت تمثل قبلة الصلاة الإسلامية ما يقارب سنة قبل أن تتحول القبلة الكعبة في مكة ومن أكبر مدن فلسكين التاريخية المحتلة من حيث المساحة والسكان لها عدة تسميات أخرى المقدس، القدس الشريف، أولى القبلتين ومكانتها عالية لدى المسلمين ذكرت في الرواية كآخر محطة للبطل بعدما لفظته كل الأماكن التي مر بها «من قرب انقضاء شهره الثالث في تل أبيب، وصلته رسالة تطلب منه الاستعداد الانتقال إلى

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 85.
[2] المصدر نفسه، ص 85.
[3] المصدر نفسه، ص 138.

مقر إقامته الدائمة في القدس»[1]، بعد وصول داويت إلى القدس راح يزور المعالم الموجودة في القدس كنيسة القيامة، والمسجد الأقصى، البلدة القديمة.

-إسرائيل:

هي كيا ن صهيوني تقع في غرب آسيا على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الابيض المتوسط والساحل الشمالي للبحر الأحمر، ولها حدود برية مع عدة دول منها سوريا لبنان الأردن عاصمتها تل أبيب ولغتها الرسمية هي العبرية سجلت إسرائيل حضورا قويا في الرواية لأن البطل داويت كان يسعى للوصول إليها والاستقرار فيها طامعا في غد أفضل واعتبارها أرض أحلامه وأرض الميعاد « أنتم على بعد ساعات من تحقيق حلمكم بالعودة إلى أرض الميعاد إلى أرض اللبن والعسل، إلى إسرائيل الكبرى حيث تنتهي الآلام بالخضوع لمشيئة الرب، أجنحة الحمامة، هذه الحملة المباركة تحيط بها صلوات كل فرد من البلاد هناك»[2]، واعتبر اليوم الذي سافر فيه إلى إسرائيل «اليوم المنتظر الذي يحمل في أحشائه كل الأزمنة»[3]، لكن الواقع أنه لم يحظى بالحياة التي كان يطمح إليها وقتل بالخطأ على يد الشرطة الإسرائيلية «اخترقت رصاصة صدره فسقط على ظهره»[4].

ب- الأماكن المغلقة:

هي تلك الأماكن التي تكون فيها الشخصيات مقيدة خاضعة للسيطرة يمثلها في هذه الرواية الأماكن التالية:

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 135.
[2] المصدر نفسه ص 17.
[3] المصدر نفسه، ص 31.
[4] المصدر نفسه، ص248.

-الوادي الأزرق:

يعد الأكثر المعسكرات التدريبية قسوة، تعذيبا في إرتيريا وهذا ما أكده الراوي في عدة مقاطع مثل «في الوادي الأزرق كان التعذيب وجبة يومية، لم يكن الهدف أن نصبح جنودا أقوياء بل عبيدا خانعين. عبودية أبدية لا فكاك منها ...»[1] وأيضا «الوادي الأزرق كان كالوحش الذي كان يحكي عنه الجميع دون أن يروه. لم يسبق لي ان رأيت عائدا مجددا من هناك ربما لأن من يذهب إليه لا يعود»[2]، وهذا المكان الذي أخذ إليه داويت مرغما على ذلك عقابا له نتيجة هروبه من المدرسة الثورية للقاء حبيبته عائشة «لم أكن أدرك أن تغيب المدرسة الثورة سيكون عقابه الزج بي في أكثر المعسكرات التأديب قسوة»[3]. حيث تم فيه معاقبته بأبشع الصور «وضع أصفادا في يدي وهو يتوعدني بأيام كالحة لم انطق. كنت منفصلا عن المكان غائرا في نفسي غمت الأشياء من حولي. بدت نقاط معتمة ضائله كل شيء يحدث داخلي، يكبر ويصغر، يتحرك في كل الاتجاهات ثم ينتهي قبل أن يصل إلى ملامحي»[4]، هكذا كانت صورة هذا المكان قائمة منظرها متوحش جدا.

-الكنيسة:

أصل هذه الكلمة عبراني مأخوذة من كلمة كنيسي وهي مكان للعبادة وأداء الطقوس اليهودية وصفها الراوي «سور منخفض بمبنى متهالك رغم حداثة طلائه. في ساحته الخارجية ظهر له عدد من رجال الدين»[5]، أكد على أنها «ساحة رملية تنتهي بالمبنى الأبيض تبرز في نهاياته العالية مجسّمات لشمعدانات جبسية مصبوغة بالأصفر.

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 82.
[2] المصدر نفسه، ص 172.
[3] المصدر نفسه، ص 172.
[4] المصدر نفسه، ص 188.
[5] المصدر نفسه، ص 39.

في الأسفل كانت هناك ثلاثة مداخل وقف امامه محتارا»[1]، وتحتوي هذه الكنيسة على حاخام رجال الدين، الذين يقومون بالتعليم اللاجيئين اليهودية وفي هذا المكان أدى داويت طقوس هذه الديانة بين هذه الطقوس التي قام بها حسب الراوي «أمره الحاخام بالاغتسال وتنظيف أسنانه وتقليم أظافره، قبل العودة إليه مجددا»[2]، كما أضاف «يقوم رجال الدين أخيرا بدفع رأسه إلى الأسفل بقوة والإبقاء عليه مغمورا كاملا وهو يتلو الشهادة بالنبرة تعلو بالتسرع ضاغطا على الأحرف الأخيرة»[3]، مما يذكر حوله أيضا أنه تعلم فيها دروسا في اللغة العبرية «أرشده إلى مواعد الدروس العبرية والدين»[4]، وبالإضافة إلى الكنيسة نجد أيضا كنيسة القيامة التي يتنازع عليها أقطار الطائفة الأثيوبية تقع كنيسة القيام داخل أسوار البلدة القديمة في القدس وتسمى أيضا القبر المقدس «وهي عبارة عن مجمع معماري كبير، ويحيط بها العديد من المباني التاريخية والأثرية التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة. وسميت كنيسة القيامة نسبة إلى قيامة المسيح من بين الأموات، بحسب العقيدة المسيحية»[5]، وتعد هذه الكنيسة أول مكان زاره داويت عند وصوله إلى فلسطين حيث أبدى إعجابه بها «تمنى داويت لو يترك وحده في كنيسة القيامة لو ينصت بجلال الأصوات المبعثة من بين الشقوق، ويمسح يده دموع القطعة الرخامية المستطيلة، لا يتبرك لكن لا يواسيها على شعور الاغتراب فالناس غير الناس بكل تأكيد، حتى لو ظل المكان على حاله»[6]، كما أضاف قائلا حولها «تلك المعاني التي بذرتها كنيسة القيامة في روحه، لكن أن يتعلق بأثر ديني، وهو الذي لم يمارس طقسا دينيا في حياته لكن

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 39.
[2] المصدر نفسه، ص 40.
[3] المصدر نفسه، ص 41
[4] المصدر نفسه، ص 38.
[5] المصدر نفسه، ص 160.
[6] المصدر نفسه، ص 177.

تعجب عاد ليخفّف وهو يقول لنفسه إنه أخذ بالمكان برائحته العفيفة بروحه التي تسكنه وليس بما يعنيه الأخرين»[1] فبدا بذلك متشابعا ومتأثرا على هذه الديانة المحرفة أصلا.

-فندق أباسينيا:

يعد من الأماكن المغلقة التي يقصدها الإنسان طالبا لراحة وهو من أهم الأماكن التي ركز عليها الروائي حيث قدم لنا صورة عنه بأنه «تجاوز المبنى الأثري ذي الطابقين»[2]، وهو اشترى زوج سابا منذ مدة وهذا ما جاء على لسانها «قدمت منذ عقدين إلى غوندار برفقة زوجها الذي اشترى مبنى متهلكا وأعاد ترميما ليحوله إلى أهم فندق في المدينة»[3]، هذا الفندق بإسم زوجته سعى داويت لأن يدخله بطرق خبيثة وملتوية إذ قام بإشعال النار داخل أحد مستودعاته «مر وقت استعاد في جسارته ليكرر الخطو تجاه النافذة حين بلغها كمن يختبر جديته للمرة الأخيرة، انتظر قليلا، أغمض عينيه، سحب هواء ملأ به صدره وأفرغه على المهل. ضغط على عبوة الكبروسين، ثم حسم أمره. أشعل طرف القماش النافر من فم العبوة وألقاها داخل المستودع وعاد سريعا يراقب بقلق ضلال اللهب المتعاظم تعابير وجهه في طريقه لغمر كل شيء»[4]، وبذلك الفعل تمكن من دخول الفندق«جلس داويت على الأرض يسعل منهكا، تلتصق بوجهه وذراعه طبقة دخان فاحمة هرولت إليه.سابا تقابله وتعنق عليه عبارات الامتنان وتقدم له الماء، وتطلب منه أن يستريح وهي تخبره أن الطبيب في طريق ثم بعد أن انتهى كل ذلك دعته أن يقضي ليلته في الفندق»[5] محققا بذلك مكان يريد.

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 177.
[2] المصدر نفسه، ص 24.
[3] المصدر نفسه، ص 36.
[4] المصدر نفسه، ص 35.
[5] المصدر نفسه، ص 35.

-مخيم أنداغوبونا:

هو أحد المخيمات في أثيوبيا يلتقي فيه مختلف الأجناس البشرية ويقصده الأشخاص الذين يحاولون الحصول على تأثيرات تسمح لهم باللجوء إلى البلدان الأوروبية ومن بين من زاره نجد البطل داويت الذي سعى جاهدا لدخوله كي يحصل هو أيضا على التأشيرة لدخول البلد الأوروبي «أخبرها أن ديفيد هو اسمه الذي تركه خلفه ولا يريد العودة إليه وأنه إرتري غادر بلده مقهورا إلى مخيم أندغوبونا اللاجئين في تغراي بعد أن باع ما يملك ليدفع ثمن تهريبه»[1] إلى عالم الأحلام الأوروبي، الذي تبدو فرصة الذهاب إليه ضئيلة جدا «إن إندغابونا مجرد مخيم استقبال وأن ثمة فرصة ضئيلة لإعادة التوطين في دولة أوروبية»[2].

-مركز شيبا طبي:

وهو مستشفى عسكري يقصده الناس من أجل تلقي مختلف الخدمات الصحية، التي تهتم بالصحة وصونها، من طرف طبي وتمريضي متخصص أما في رواية فقد حمل دلالة بارزة فهناك تتم الفحوصات الطبية للاجئين «ها قد وصلنا أخيرا هذا مركز الشيبا طبي، أكبر مستشفى في إسرائيل أنشأ في عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين كأول مشفى عسكري لمداوات الجرحى حرب الاستقلال. سنجري هنا فحوصات سريعة قبل أن نواصل طريقنا»[3]، وفي هذا المستشفى كانت تتم الفحوصات للاجئين «أقتيد داويت إلى قسم الأشعة للتأكد من خلوه من أمراض الصدر ومنها إلى قاعة كبيرة دون كراسي وجد فيها من سيقويه في الفحص في انتظار نتائجهم»[4]، وهذا المقطع صورة ما مر به داويت حتى تم قبوله في الكيان الصهيوني.

---

[1] حجّي جابر رغوة سوداء، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

[4] المصدر نفسه، ص 73.

الفصل الثاني: تجليات المتخيل في رواية 'رغوة سوداء' "لحجي جابر"

1- الشخصية المتخيلة في الرواية:

أ- الشخصيات الرئيسية.

ب- الشخصيات الثانوية.

2- بنية متخيل الأنماط الإنسانية (الحياة، الحب، الكره).

3- بنية الزمن المتخيل في الرواية.

4- بنية المكان المتخيل في الرواية.

5- العلاقة بين الواقع والمتخيل في الرواية.

6- دراسة العنوان.

1- الشخصيات المتخلية في الرواية:

هي شخصيات صنعها الروائي وهي من نسج خياله و تعدد ذكرها في رواية "رغوة سوداء" وقسمت إلى ثانوية و رئيسية كما يلي:

أ-الشخصيات الرئيسية:

تعد المحرك الأساسي لأي عمل روائي والعمود الفقري له، لها القدرة على الإدهاش والإقناع من خلال الأدوار التي تقوم بها من بينها نجد في الرواية:

- **إلياس وراحيل:**

هما شخصيتان متخيلة اختارهما الرواي نظرا لما يتطلبه الموقف الذي تعرض إليه بطل الرواية: «أخبرهم أن أمه رحيل توفيت بالسّل قبيل مغادرتهم الأخيرة إلى غوندار، وأنها كانت تساعد والده في إعداد السمن الذي كان يجوب به الأرجاء. أسهب في الحديث عن حنانها عليه. وعن علاقتها بجاراتها»[1]. أضاف «أمي كانت مخلصة لعقيدتها اليهودية، رغم كل جهدها في إخفاء ذلك عن الجيران»[2]. فهما إلا وسيلة اعتمدها داويت لنجاة ونيل متتغاه.

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

ب- **الشخصيات الثانوية:**

- **ديبورا:**

فتاة رشيقة تعمل في بار إيديل كالمغنية «ظهرت القاعة مكتظة أكثر مما بدت من الخارج. صوّب نظره ناحية المغنية وهي تتمايل أمام عازفين. لم يسترع انتباهه أدائها لأغنية بوب مارلي التي يحبها "One love"»[1] يصفها الراوي «كان فقط مأخوذا بشعرها القصير، ونظارتها دائرية العدسات، وذلك البروز في صدرها»[2]، من معجبيها داويت الذي أعجب بها «انتهت الأغنية، وانحنت ديبورا أمام تصفيف الحاضرين. لم يتفاعل معها. اكتفى بتجرّع نصف القنينة والتحديق في ملامحها، فستانها الأسود القصير مكشوف الظهر، وشعرها المتموج، وابتسامتها الواسعة التي تقابل بها الإطراء كطفلة وهي تضع يدها على فمها بين الحين والآخر»[3]، فهي تأسر من ينظر إليها تجعله لا يستطيع إبعاد بصره عنها لجمالها الجذاب.

***مرشدة:**

فتاة من الكيان الصهيوني «تحركت الحافلات الواحدة إثر الأخرى. إلى جوار السائق وقفت فتاة سمراء وبيدها مكبر الصوت. تحدثت بالأمهرية وعرفت عن نفسها بأنها يهودية من بيتا إسرائيل، فماجت الحافلة بالصراخ والتصفيق. ضحكت الفتاة خجلا، قبل أن تستدرك أنها ولدت في إسرائيل، كأنها تشير إلى الأفضلية التي تتمتع بها. خيّرتهم بين أن تكمل بالأمهرية فأجمعت الاصوات الممتداخلة على الحديث بالأمهرية»[4]، يذكر في الرواية كانت مرشدة في الحافلة تقود اللاجئين إلى الكيان الصهيوني. «مرحبا بكم في إسرائيل... سنتوجه

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 14.
[2] المصدر نفسه، ص 14.
[3] المصدر نفسه، ص 15.
[4] المصدر نفسه، ص 63.

فورا إلى تل أبيب، وهي مدينة جميلة كما سترون. ستمكثون فيها لبعض الوقت قبل أن يتم توزيعهم على مدن البلاد المختلفة. في الأثناء يسعدني أن أجيب عن أي سؤال يخطر ببالكم إلى أن نصل. أرجو أن تستمتعوا بالرحلة»[1]. طوال طريق هي تعرف لهم بالأماكن التي يمرون بها.

***المرشدة النفسية:**

فتاة لطيفة تعمل كالمرشدة نفسية «دلف إلى غرفة صغيرة ناعمة الإضاءة يتوسطها مقعدان وثيران، جلس على أحدهما فيما جلست قبالته سيدة أربعينية شقراء، تلم شعرها الغزير يشبك أسود كبير. وضعت قدما على أخرى، وهي تتصفح ملفه بينما تمنحه ابتسامة بين الحين والآخر، قبل أن تفرغ له»[2]. إذن هي من أجرت الجلسة لداويت «هزّ رأسه موافقا بينما يفرك يديه. لا يعرف لما بدأ يشعر بتوتر غامض، كأنه إزاء استجواب كالذي مرّ به في إنداغونا. بدت المرأة مريحة، لكنه تعلم ألا يثق بأحد، خصوصا أولئك الذين يبذلون لطفا مبالغا فيه»[3]. خلال هذه جلسة بدأت المرشدة في طرح أسئلة على داويت معرفة إن كان يعاني من أي المرض لكن وهو آخر راح في سرد الأكاذيب لنجاة «حين خرج من العيادة كان مصابا بالإعياء لفرط ما اضطر إلى سرد حكايات، بعضها مختلف، وأخرى سمعها في مكان لا يتذكّره. هكذا كان يتعامل مع الأمر، كل شيء من حوله قابل لأن يصبح حكاية مثيرة، تلك المعادة عشرات المرات»[4]، إذن هي من تقوم بشخصين الأفراد لمعرفة ما يعتليهم من الأمراض النفسية تحتاج إلى مرشدة نفسية.

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 63.
[2] المصدر نفسه، ص 96.
[3] المصدر نفسه، ص 97.
[4] المصدر نفسه، ص 100.

2- بنية متخيل الأنماط الإنسانية (الحياة، الحب، الكره):

من بين الأنماط الإنسانية المشكلة هذه الرواية نجد الحب ويتجلى ذلك في قول الراوي «انتبهت لشرودي فنادتني. التفت فباغتتني الأول مرة بقبلة طويلة وغادرت مسرعة»[1]. أضاف «لكن لهاث قلبي عائشة أعماني عن الانشغال بما سيأتي»[2]. يؤكد هنا الراوي حب داويت لعائشة «جلست قربها، فشدتني من يدي لألتصق بها. هنا عاودني الخوف. قربها وهذا يشعرني بفجاعة الوقت من دونها، بأيامي حين تخلو من عينيها التي تطفو بنعاسها اللذيذ»[3]. فالبطل داويت وحبيبته عائشة كان بينهما حب عظيم. «قبلت جبينها، لكنها شدتني لأستقر عند شفتيها الجائعين، ولم تتركني إلا وقد غرست سنّها في طرف شفتي حتى أدمتها»[4]، يظهر من خلال هذا مقطع صلة عميقة بينهم يؤكد هذا «في فراشي كنت أمرّر لساني على الجرح بتلذذ. أضغط عليه فيشعرني الألم بالنشوة حين أغمضت عيني كنت قد حسمت أمري تماما»[5].

تجسد حبها في اللقاءات الدائمة التي كانت بينهما على الدوام «حين انتبهت عادت تلحق بي حتى أدركتني عند نهاية المسبح، وقد أسندت صدري ويدّس على حافته وأنا ألهث. طوقتني عائشة من الخلف وأسندت صدرها على ظهري، فسرت قشعريرة لذيذة في جسدي وأنا أشعر بانضغاط نهديها كلما التصقت بي أكثر، قبلت رقبتي فلم أعد أقوى على الصمود»[6].

---

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 124.

[2] المصدر نفسه، ص 131.

[3] المصدر نفسه، ص 132.111

[4] المصدر نفسه، ص 134.

[5] المصدر نفسه، ص 134.

[6] المصدر نفسه، ص 147.

إضافة إلى هذا نجد أيضا الكره والذي يظهر في قول الكاتب «اخترق صراخ فتاة بيضاء أذن داويت، وهي تسأل تنظر إليه بحدة، اختارته دون غيره لتصوب عليه نظراتها الغاضبة. لم يعد يسمع صراخها، كان يتبع عروق رقبتها الخضراء المنتفخة، وهي محقونة بالحقد يظهر هنا كمية الحقد»[1]. يظهر هنا كمية الحقد والإذلال والكره التي تعرض إليها داويت، «صرخت الممرضة فزعة، وابتعدت مسرعة حين عادت تصطدم بداويت عند نقطة تقاطع الممرات، وهي تتمتم بكلمة التقطها أذن داويت 'عبد قذر'»[2]. يصف الراوي الإساءة التي تعرض لها داويت في مركز شيبا الطبي.

3- بنية الزمن المتخيل في الرواية:

بنى "حجّي جابر" روايته 'رغوة سوداء' على زمن واقعي وآخر متخيل، عرف الزمن المتخيل على أنه من صنع الخيال تعددّ ذكره في الرواية مما يذكر، «أخبرهم أنّ أمه رحيل توفيت بالسّل قبيل مغادرتهم الأخيرة إلى غوندار، أنها كانت تساعد والده في إعداد السمن الذي كان يجوب به الأرجاء. أسهب في الحديث عن حنانها عليه، وعن علاقتها بجاراتها. المعلومة الأخيرة ارتجلها دون سابق تفكير. تقصد أن يكون حديثه عاما ينطق على كل الأمهات..».[3] ففي هذا المطلع البطل داويت تخيل أنه له أما وأبا ليتم قبوله بيتا إسرائيل.

سعى داويت لتحقيق مبتغاه الذي لم يبقى الكثير لوصوله وتحقيقه سوى المرور على مكتبة المفوضية للاجئين فوجد نفسه يسمع لحكاية صديقه يوهناس المتخيلة «لحق به يوهناس وحاول السير إلى جواره، غير أن خطوات ديفيد كانت أسرع. كان يسير بشكل آلي، ينظر إلى الأمام، لكنه لا يرى إلا يجول في ذهنه، ليتأكد من تشرّ بها

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 56.
[2] المصدر نفسه، ص 71.
[3] المصدر نفسه، ص 25.

كأنها قصته. سمعها للمرة الأولى من يوهناس الذي أبدى براعة في نسج تفاصيلها، وهو يحكي بطريقة أقرب إلى التقمصّ»[1].

يوضح الراوي كيف أن يوهناس سرح في خياله ونسج ديفيد حكاية ليتم قبوله من طرف مفوضية اللاجئين في مخيم إنداغابونا في إثيوبيا عرض طلب اللجوء إلى دولة ثالثة فلا ربما تكون وسيلة للوصول إلى مبتغى[2].

بالإضافة إلى هذا ما مرّ به داويت عند المرشدة النفسية الذي راح يكذب ويختلف القصص الخيالية «حين خرج من العيادة كان مصابا بالإعياء لفرط ما اضطر إلى سرد حكايات، بعضها مختلف، وأخرى سمعها في مكان لا يتذكره، هكذا كان يتعامل مع الأمر، كل شيء من حوله قابل لأن يصبح حكاية مثيرة، حتى تلك المعادة عشرات المرات يعيد ترتيب الأحداث، يضيف عليها، يحذف القشور والزوائد ويتجه صوب المتن. يبدأ بقوة ثم يبطئ من سرعته، قبل أن يعاود الصعود من جديد وهو يخطف أنفاس مستمعية»[3]، سرد داويت حكاية أمه وجراتها الخيالية «كنت أحب الأمسيات التي أقعد فيها أتلقص على أحاديث الجارات. تتركني أمي دائما إلا حين ينحو الكلام إلى مواضيع الكبار كما تسمّيها فتأمرني بالمغادرة إلى الداخل»[4].

4- بنية المكان المتخيل في الرواية:

الأماكن المتخيلة هي من صنع ذهن الكاتب ووحي خياله، وهو الذي يفترض وجودها وتشمل كل من الأماكن المركزية والثانوية وهذه الأماكن تختلف عن الواقعية في أنها تفتقد لصفة الزمنية والتاريخية فهي عكس الأماكن

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 75.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 75-76.
[3] المصدر نفسه، ص 100.
[4] المصدر نفسه، ص 98.

الواقعية تدرك بالحواس، وما يجذب انتباه القارئ في رواية 'رغوة سوداء' كثرة الأماكن التي تزخر بها هذه الرواية من بين هذه الأماكن المتخيلة نجد:

أ- البارات:

هو مكان مخصص لبيع وشرب المشروبات الكحولية، وفيه تقام السهرات الليلية، وهذا النوع من الأماكن كثير ما صرح بها الروائي وهي من الأماكن المتخيلة «انشغل بقراءة أسماء البارات الحبشة الكبرى، الإمبراطور، النصر»[1]، إلى جانب هذه البارات المذكورة نجد بار "إيديل" الذي كان يرتاده داويت قصد الزهو وشرب الخمر والتمتع بتأمل جمال الفتيات «استوقفه بار إيديل بدا الاسم ملفتا وهو يشير بالدارجة إلى المصير»[2]. كما يذكر أن هذا المكان كان شديد العتمة. «استحوذت عليه العتمة التي تغمر المكان. كما وصف القاعة ظهرت القاعة مكتظة أكثر مما بدت من الخارج»[3] ووصف الراوي أجواء البار فقال «صوّب نظره ناحية المغنية وهي تتماثل أمام ثلاثة عارفين»[4].

وعموما فقد صور الروائي هذا المكان على أنه يتسم بالحركة والزحم يقصده الناس بغية المتعة والتسلية.

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 14.
[2] المصدر نفسه، ص 14.
[3] المصدر نفسه، ص 14.
[4] المصدر نفسه، ص 14.

الغرفه:

هي مأوى الإنسان يلجأ إليها ليسترخي من يوم متعب، ذكرت في الرواية بعد وصول داويت إلى أراضي الكيان الصهيوني أخض إجراء الفحوصات الطبية بعد انتهاء أخذ للغرفة «تسلم المفتاح، وأغلق الباب وراء الموظف، لينفرد بنفسه المتعبة أخيرا بعد ساعات في مشفى شيبا العسكري استنفرت طاقته وصبره»[1]. يصف الراوي غرفة «بعد أن راجع معه محتويات الغرفة، سرير أبيض، خزانة ملابس بنفس اللون، تلفزيون، مكواة، طاولة صغيرة إلى جوار السرير عليها نسخة من الكتاب المقدس، لوحة ليلية للقدس مغلقة جانب النافذة على الجدار الزيتي، وإلى جوارها بطاقة التعليمات والمهام اليومية...»[2] إذن هي مكان مؤقت للبطل داويت قبل أخذه إلى الإقامة الدائمة.

- **السجن:**

هو مبنى حكومي ومؤسسة عقابية يتم فيه سلب الحرية التامة للإنسان بوضعه في مكان مقيد يخضع فيه المحكوم عليه القوانين الداخلية للسجن مثل الانضباط والامتثال للأوامر، ويختص بعقاب المجرمين كل على حسب التهمة التي قام بها، ويذكر في الرواية أنه من الأماكن المتخيلة، فهناك تعرض داويت للتعذيب،و سرح بخياله «في الغرفة المعتمة لم أكن مشغولا بشيء قدر انشغالي بعائشة، بما بالمواجين التي ستسكن رأسها طوال الأيام العشرة، لم أنتبه إلى متأخرا إلى السقف الواطئ بحيث لا أستطيع الوقوف بكامل قامتي، ولا التمدد على الأرضية إلا متفرقها، بينما تشعرني النافذة الوحيدة الملحقة بالباب بالاختناق لفرط ضيقها»[3]، يصف داويت قسوة الحبس الانفرادي.

---

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 71.

[2] المصدر نفسه، ص 71.

[3] المصدر نفسه، ص 149

- **البيت:**

هو مكان لسكن يتألف من جدار وسقف وأرضية ليؤمن الحماية للعائلة من الأخطار الجوية (رياح، عواصف، الحر والبرد...) ومن هجوم الحيوانات وحتى اللصوص بالمختصر مأوى الفرد ويمكن أن يعيش فيه عدة أفراد فالغاية منه الأمان والحماية والراحة، وتقدم الرواية وصفا دقيقا لبيت عائشة «بدا البيت أنيقا دون تكلف، غرفة جلوس واسعة، يغلب عليها اللون الأبيض، تتمدد عليها أريكتان بنيتان متقابلتان وثالثة صغيرة»[1]. وهو من الأماكن المتخيلة.

5- العلاقة بين الواقع والمتخيل في الرواية:

اعتمدت الروايات المعاصرة بشكل كبير على المزج بين الواقع والمتخيل إلى أن البعض يرى أن العلاقة بين شيئان متعاكسين شبه مستحيلة فالواقع حياة يومية يعيشها الفرد والمتخيل هي حياة خاصة يصنعها لنفسه من ذهنه وإبداع خياله فالمتخيل «هو بناء ذهني أي أنه إنتاج فكري بالدرجة الأولى، أي ليس إنتاجا ماديا في حين الواقع هو معطي حقيقي وموضوعي»[2]. والواقع يدل على عالمنا الحقيقي فهو «الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجيا كافة»[3].

فالروائي يأخذ مادته الأولى من الواقع الذي يعيش فيه ويستعين بإبداعه الخيالي ليعبر عن مكبوتاته وأحلامه عن طريق السرد فالكتابة هي وسيلة الكاتب لصنع حياة أجمل له.

ومن الروايات التي مزجت بين ثنائيتي الواقع والمتخيل نجد رواية 'رغوة سوداء' لحجّي جابر" فهو يسرد أحداث واقعية في روايته لكنه سرعان ما يغوص في أحلامه وخياله وهو يروي واقعه المر الذي يعيش في وطنه

[1] حجّي جابر، رغوة سوداء، ص 131.

[2] حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002م، ص 44.

[3] رفيق رضا صيداوي، الرواية العربية بين الواقع والتخيل، دار الفارابي، بيروت-لبنا، ط1، 20

يحاول بخياله خلقا نص أكثر مرارة من واقعه ويصنع لنفسه حياة خاصة من خياله وهذا ما يولد لنا ثنائية الواقع والمتخيل وتربط بينهما علاقة تداخل يستحيل الفصل بينهما فكل منهما يكمل الآخر فالروائي مصدر إلهامه هو الواقع ويتخيل انطلاقا من الواقع.

كون هذا الأخير حياة يعيشها الروائي يوميا وتصادفه حوادث عدة والمتخيل حياة يرسمها في ذهنه ويجسدها في شكل فني روائي ولهذا لا يمكن للعمل الروائي أن يقتصر على الواقع فقط فبدون خيال ينتج فن روائي جاف وعديم التأثير ولا يشد انتباه القارئ.

وفي الأخير نقول أن حجّي جابر حاول معالجة قضية اجتماعية وسياسية الأولى تتمثل في التهميش الذي يعاني منه أطفال مجهولي النسب والثانية حروب وعدم استقرار وفي الرواية ونجد الكاتب حجّي جابر هو الذي يسرد حياته الذاتية وفي نفس الوقت يكتب الرواية التي تروي قضية التهميش العنصري الذي كان يعاني منه.

6- دراسة العنوان:

أولت الدراسات الحديثة اهتماما كبيرا بالعنوان بعدما كان يعاني من إهمال مجحف من قبل الدارسين والباحثين في هذا المجال، أما اليوم أصبح يشكل بوابة إطلاع القراء والكتاب والنقاد وأداة لجذب انتباههم لهذا النص الروائي، فالعنوان هو أول ما يستقبل انتباه القراء كونه يتمتع بجاذبية تؤثر بالمطلع لتصبح له الرغبة في قراءة النص ومعرفة محتواه، يتجلى دوره في العمل الروائي أنه « يوجه قراءة الرواية ويغتني بدوره بمعاني جديدة بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية، فهو المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث وايقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي، علاوة على

مدى أهميته في استخلاص البنية الدرامية للنص، وتحديد تيمات الخطاب القصصي وإضاءة النصوص بها»[1].

إضافة إلى هذا فهو يلخص مضمون الرواية في بضع كلمات أو في سطر واحد.

كل هذه النقاط إيجابية جعلته يحضى بأهمية بالغة ومكانة عالية في الدراسات الحديثة « أصبح العنوان في النص الحديث ضرورة ملحة ومطبا لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص»[2].

وعنوان رواية 'رغوة سوداء' للكاتب "حجي جابر" يمكن دراسته على مستويين:

أ- المستوى اللغوي:

يتضح لنا من خلال تأملنا في عنوان "رغوة سوداء" أنه مكون من كلمتين ناكرتين وكلتاهما جاءت بصيغة المفرد.

وللعنوان علاقة مع النص فهو ينتج لنا دلالات ومعاني عديدة، وكل قارئ يؤله بمفهومه الخاص، فالرغوة هي مادة موجودة في الصابون ويكون فيها حجم الغاز كبير وهذا ما يفصل بين السائل والرغوة استعمل هذه المفردة لما تحمله من ايحاءات التهميش والعنصرية أما السواد فهو يشير إلى الشر والحزن ونوع من أنواع التهديد كما يرتبط بالحداد والموت والمصائب والهم فالكاتب جمع بين شيئين مختلفتين كإستراتيجية للفت انتباه القارئ وجلب انتباهه لقراءة محتوى الرواية.

ب- المستوى الدلالي:

النص السردي له علاقة مع عنوان الرواية "رغوة سوداء" الذي يحمل معاني مختلفة في النص الروائي ويشير التهميش الذي يعاني منه البطل.

---

[1] جمي حمداوي، صورة العنوان في الرواية العربية، https:// arabicnad wah.com 01/09/2021

[2] عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في الشعر مصطفى محمد الغامري، مذكرة ماجيستر، كلية الآداب اللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، 2005/2004، ص 26.

فالعنوان يعني عدم القدرة البطل من ايجاد مكان مستقر فأينما ذهب يجد نفس مهمش ومنبوذ وسبب لون بشرته وعرقه وكونه ثمرة نظال غير شرعي فوجد نفسه كالرغوة فوق الماء «من أسمرا إلى إنداغابونا إلى القدس وكل مكان يلفظه إلى السطح دون أن يمنحه التفاته تبقيه في العمق»[1].

العنوان دلالة على عدم الاستمرار والثبات في مكان واحد رغم محاولات البطل الدائمة بالفرار والبحث عن النجاة «ألف حياة الجديدة، بدأ يعتاد عليها بالأحرى ويتقبلها، تقبل أكثر فكرة الرغوة السوداء، لم يعد يحاول تجاوزها ليكن السطح هو مكانه، وماذا عن ذلك اليوم؟ هو لم يجرب أن يستقر في عمق الأشياء، لم يجرّب أن يكون في صلب المكان واهتمام الناس»[2].

للعنوان صلو وثيقة بالبطل وأماكن وجوده فهو هدفه الوحيد لايجاد مكان مستقر يندمج فيه مع مجتمعه وامتلئت الرواية بأحداث الترحال وتغير الديانات التي خاضها البطل فهي بذاتها تفسر العنوان فهو لم يجد لا دين ولا مكان يجعله يندمج مع مجتمع معين فنجده دائما يطفو إلى السطح في الرغوة.

عنوان "رغوة سوداء" يحمل في طياته ظاهرة التهميش والعنصرية والأزمات التي يمر بها بطل الرواية، فالرغوة تدل على التهميش والعنصرية والسواد يد على النهاية المأساوية للبطل، من هنا يمكننا القول أن العنوان يعبر عن مضمون الرواية وهو بمثابة اختزال بمضمونها.

كما يمكن للعنوان أن يدل على النهاية المطلقة التي انتهت بها الرواية فالسواد يشير إلى موت البطل المفاجئ بطلقة رصاص من طرف قوات الكيان الصهيوني « أغمض عينيه، فقد شعر بروحه رغوة تطفو على السطح»[3] .

[1] حجي جابر، رغوة سوداء، ص 140.
[2] المصدر نفسه، ص 240.
[3] المصدر نفسه، ص 249.

وأخيرا يمكننا القول أن العناوين أصبحت جوهر الروايات وتمثل جمالها الفني ولا يمكن الاستغناء عنه في الأعمال الأدبية فهي أداء تجذب وتستهدف كل فئات القراء الراغبين في الإطلاع.

خاتمة

وهكذا نكون قد وصلنا إلى آخر محطة في بحثنا الذي قمنا فيه بالكشف عن علاقة الواقع بالخيال في رواية 'رغوة سوداء' "لحجّي جابر" وعلى ضوء هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- وضح البحث أن علاقة الواقع بالمتخيل هي علاقة حتمية فكلا الركنين لابد من حضورهما في السرد الروائي.
- مزج الكاتب "حجّي جابر" للواقع والمتخيل أكسب الرواية جمال فنيا هذا ما جعل القراء يندفعون إليها لتذوق هذا الفن الجديد.
- يتمتع الكاتب بإبداع تخييلي رائع ويظهر ذلك في تنقله بين الأحداث الواقعية والخيالية بكل سلاسة وبساطة.
- بين البحث أن هذه الرواية تعبير عن الوضع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه سكان إريتيريا وركزت على تهميش الأطفال الناتجون عن ثمرة نضال (الغير شرعيين).
- تنوعت الشخصيات بين شخصيات واقعية كان لها دور فعال على البطل داويت وشخصيات متخلية لها دور في تحقيق أهدافه والوصول إلى مبتغاه المتمثل في الوصول إلى أرض الميعاد "الكيان الصهيوني".
- بين البحث أن راوية "رغوة سوداء" هي إضافة نوعية وهامة للرواية العربية وذلك من خلال مزج الواقع بالمتخيل بغرض الوصول إلى كشف الواقع الإرتيري.
- العمل الروائي وإن كان ناتج عن اجتهاد خيالي إلى أنه يحمل في طياته رسائل إنسانية واقعية ويصور لنا حالة اجتماعية معينة.

- اتجه الكاتب إلى مزج الواقع بالمتخيل لتعزيز النص وجعله أكثر حيوية ومن أجل إخراجه عن دائرة السرد المألوف.

وأخيرا يمكننا القول أن هذا البحث غير مقتصر على هذه النتائج فقط لأن البحث في مجال السرديات ليس له حدود ورواية 'رغوة سوداء' هي إحدى الروايات التي ينبغي العودة إليها ودراستها بمختلف المناهج.

الملاحق

تلخيص الرواية:

تعتبر رواية "رغوة سوداء" للكاتب الإرتيري حجّي من أفضل الروايات التي أصدرها سنة 2008م عن دار التنوير تدور أحداث هذه الرواية حول الفقر والحرمان الذي يدفع بالشباب في البلدان الفقيرة إلى التخلي عن أوطانهم والهجرة إلى بلدان أخرى تؤمن لهم لقمة العيش وحياة الرخاء والرفاهية، تدور هذه الأحداث حول رجل إرتري يدعى "آدال" الذي كان ثمرة عن علاقة غير شرعية.

حيث تقمص هذا الأخير أدوار عديدة مغيرا،اسمه وهويته وتاريخه ودينه، داويت، داوود، ديفيد، مسلما، مسيحيا، يهوديا.

سعى "آدال" طوال أطوار الرواية للوصول إلى تحقيق حلمه الوحيد الذي تجلى في جلّ الرواية وهو الوصول إلى أرض الميعاد والخلاص أي الكيان الصهيوني تاركا وراءه كل شيء طامحا في غد أفضل و تحقيق هدفه أساسي المتمثل في النجاة.

بطل الرواية هو "داويت" أو"آدال" الشاب الإريتري، الذي نشأ في ساحات القتال الإريتريا ،وهو ثمرة للعلاقات الجنود المحرمة، لهذا يطلق عليه "ثمرة النضال"،هذه الفئة التي كان همها الوحيد هو الثورة والتخلص من الاستعمار الذي يعرقل حياتهم.

كان داويت منخرط في الجيش الإرتيري وبعد انتصارهم في الحرب خرجوا للإحتفال في شارع أسمرا وهناك تعرف على فتاة تدعى عائشة فأصبحت عشيقته ويفر من المعسكر من أجل رؤيتها ،هنا بدأت المشاكل تلاحقه وتتغير حياته فقد تم الزج به في الوادي الأزرق عقابا له وهو من أخطر المعسكرات قسوة وتعذيبا لكن في الأخير هرب منه إلى إثيوبيا ليحاول في مخيم إنداغوبونا طلب اللجوء إلى بلد ثالث عن طريق مكتب مفوضية اللاجئين هناك تعرف على صديقه يوهناس الشاب الإرتري أيضا لكن سرعان ما تعرض لخيبة أمل لقد تم رفض طلب

التوطين، لم تتوقف محاولتة لنجاة فلجأ لتزويرو دفع رشوة ليصبح من يهود لفلاشا الذين يأخذونهم لإسرائيل للتوطين فيها تعرف هنا على يعقوب فتى سوداني هو أيضا يسعى لحياة جيدة، خاض مغامرة صعبة من أجل الوصول إلى مراده المنشود.

لكن رغم كل هذه الصعوبات والتحديات كان البطل داويت كالرغوة تطفو فوق السطح فقد انكشف أمره وأجبر على الرحيل للقدس ليعيش متخفيا بين الإرتيرين الفلسطينين في القدس القديمة وفيها تعرف على محمد علي المدعو"ماريل" الذي كان سندا له في هذا البلد وقدم له يد العون فاستضافه في بيته لعدة ايام ووفر له عمل في متجره.

انتهت أحداث هذه الرواية بوفاة البطل داويت على يد جندي إسرائيلي،راح ضحية طلقة رصاص خاطئة، فرغم كل محاولاته البائسة للوصول إلى مكان يوفر له العيش بكرامة واطمئنان لكن لسوء حظه في كل مرة يجد نفسه كالرغوة تطفو على السطح وكل مكان يلفظه الى الخارج.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

***أولا: المصادر**

1-حجّي جابر، رغوة سوداء، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2018م.

***ثانيا: المراجع**

أ- **المراجع العربية:**

1-حسين الخمري،فضاء المتخيل،المقاربات في الرواية منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1،2002 .

2- رفيق رضا صيداوي، الرواية الرربية بين الواقع و المتخيل ،دار الفارابي،بيرت،ط1،2008.

3- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار علم المعرفة، الكويت، دط، 1998م.

4-عزالدين اسماعيل،الأدب وفنونه،دراسة ونقد ،دار الفكر العربي،القاهرة،ط9،2013م

5- يمني العيد، الرواية العربية المتخيل في بنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2011م.

6-يوسف الإدريسي،الخيال والمتخيل في الفلسفة و النقدين الحديثين، مطبعة النجاح الجديدة،ط1،2005م.

7-يوسف الإدريسي،مفهوم التخييل في النقد و البلاغة العربيين الأصول الإمتدادات،دار وجوه للنشر،المملكة العربي السعودية،الرياض،ط1، 2015.

ب- **المعاجم والقواميس والموسوعات:**

8-الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم،قاموس المحيط،مادة خيل،بيروت،لبنان للطبعة والنشر،ط8،2005.

9-أبي قاسم جارالله الزمخشري،أساس البلاغة،الكتب العلمية،بيروت،لبنان،مج2،ط1.

10-ابن ،منظور،لسان العرب،دار صادر للطباعة و النشر،بيروت،مج15،ط1،2005م.

11-مجموعة من المؤلفين موسوعة المصطلح النقدي(الواقعية الرومانس الدرامه و الدرامى الحبكة)،تر- عبد الواحد لؤلؤة،الموسوعة العربية للدراسات و النشر،بيروت،1983 م.

12-مصطفى ابراهيم وآخرون،معجم الوسيط،ج1،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،اسطنبول تركيا.

13- صليبا جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، مج2، دط، مكتبة المدرسة، دار الكتب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982م.

***المجلات:**

14- سعيد علوش، الواقع والمتخيل والمحتمل في الرواية العربية، الرواية العربية الجديدة، العدد 3/2، 1980م.

***المذكرات الجامعية:**

15- عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في الشعر مصطفى محمد الغامري، مذكرة ماجيستر، كلية الآداب اللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، 2004م2005م، ص 26.

***المواقع الالكترونية:**

16- عبد اللطيف محفوظ، عن حدود الواقعي والمتخيل،

https://www.aljabriabed.net 2021/05/28

17- ويكبيديا الموسوعة الحرة 2021/08/21 https://ir.m.wekipedia.org

18- مصطفى الضبع، الواقع وأقنعته في الرواية العربية، 31/08/2121 https:// alketaba.com

19- جميل حمداوي، صورة العنوان في الرواية العربية، http://arabicnad wah.com

01/09/2021

20- أحمد القرملاوي، تحولات الواقع في مرآة الرواية العربية، 05/09/2021 https:// alarabco.uk

فهرس
الموضوعات

إهـــــــــــــــداء

شكر وعـــــــــــرفان

مقدمة.....(أ-ب).

***المدخل:** الواقع والمتخيل.

1- **مفهوم الواقع:**

أ- لغة.....5.

ب- اصطلاحا.....6.

2- **مفهوم المتخيل:**

أ- لغة.....8.

ب- اصطلاحا.....9.

3- الواقع والمتخيل في الرواية العربية.....10.

***الفصل الأول:** تجليات الواقع في رواية 'رغوة سوداء' "لحجي جابر":

1-الشخصية الواقعية في رواية.....15.

2- **الزمن الواقعي في الرواية:**

أ- الزمن الفني (الماضي، الحاضر، المستقبل).....28.

ب- الزمن النفسي.....31.

3- **المكان الواقعي:**

أ- أماكن مفتوحة.....34.

ب- أماكن مغلقة.....36.

*__الفصل الثاني:__ تجليات المتخيل في رواية 'رغوة سوداء' "لحجي جابر".

1-**الشخصية المتخيلة في الرواية:**.....42.

أ- الشخصيات الرئيسة.....42.

ب- الشخصيات الثانوية.....43.

2- بنية متخيل الأنماط الإنسانية (الحياة، الحب، الكره).....45.

3- بنية الزمن المتخيل في الرواية.....46.

4- بنية المكان المتخيل في الرواية.....48.

5- العلاقة بين الواقع والمتخيل في الرواية.....50.

خاتمة.....56.

الملاحق.....59.

قائمة المصادر والمراجع.....62.

فهرس الموضوعات.....66.

ملخص البحث.

ملخص

طرح البحث مسألة التداخل بين ثنائيتي الواقع والمتخيل في رواية "رغوة سوداء" "لحجّي جابر" عن التساؤل الآتي:

- ما هي علاقة الواقع بالمتخيل في الرواية؟

وقد عالج التمهيد ماهية الواقع والمتخيل ثم الواقع والمتخيل في الرواية العربية.

والفصل الأول: عنون بتجليات الواقع في رواية 'رغوة سوداء'.

أما الفصل الثاني: خصصته لدراسة تجليات المتخيل في رواية "رغوة سوداء".

الكلمات المفتاحية: جدلية الواقع والمتخيل، رواية رغوة سوداء، حجّي جابر.

Le résumé :

La recherche a soulevé la question du chevauchement entre les dualités de la réalité et de l'imaginaire dans le roman blak foam de « haji jeber ». le but de cette recherche était de répondre à la question suivant:

- Quelle est la relation entre la réalité et l'imaginaire dans le roman ?.

La préface traitait de l'essece de la réalité et de l'imagination après réalité et imaginaire dans le roman arabe. et le premier chapitre: intitulé par la douceur de la réalité dans le roman « black foam ».

quant au deuxième chapitre: je l'ai consacré à l'étude des mamie gestations de l'imaginé dans le roman « black foam ».

Mots-clés : Dialectique du réel et de l'imaginaire, Roman of Black Foam, Hajji Jaber.